مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكمة تُعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة

العدد الثاني عشر - السنة السادسة رجب ١٤٤٣هـ / فبراير ٢٠٢٢م

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]

الجزء الأول

موضوعات العدد:

- مقاصد البلاء في ضوء القرآن الكريم «دراسة موضوعية»
  د. بابي زكوب عبد العالي
- الضيافة مشروعيتها، وآدابها، وحكمها في ضوء القرآن الكريم
  د. سلطان بن عبد الله الجربوع
- دلالات أفعال خلق الأكوان والإنسان في ضوء القرآن
  "بثّ، وأحيا، وأنبت، وأخرج، وجعل، ونشر" «دراسة تطبيقية»
  د. الأمير محفوظ محمد إبراهيم
- الفروق الحركية فيما اتحدت حروفها من الكلمات القرآنية
  وأثرها في المعنى والتدبر «دراسة تطبيقية»
  محمد بن عبد الكريم بن غنام
- تسبيح الرسل عليهم السلام في ضوء القرآن الكريم
  حمزة بن عبد الله سعادة شواهنة

مجلة تدبر

دِلَالَاتُ أَفْعَالِ خَلْقِ الْأَكْوَانِ وَالْإِنْسَانِ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ

"بَثَّ، وَأَحْيَا، وَأَنْبَتَ، وَأَخْرَجَ، وَجَعَلَ، وَنَشَرَ"

نَمَاذِجُ تَطْبِيقِيَّة

د. الأمير محفوظ محمد إبراهيم

قدم للنشر في: ١٤٤١/١٢/١١
قبل للنشر في: ١٤٤٢/٢/١١
نشر في: ١٤٤٣/٧/١

- حاصل علىٰ درجة التخصص الماجستير في قسم الدعوة في كلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر، بأطروحته: «منهج الدعوة الإسلامية في وضع التدابيرالواقية لعلاج البطالة».
- حاصل علىٰ درجة العالمية الدكتوراه في قسم الدعوة في كلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر، بأطروحته: «مسلمو أهل الكتاب في مصر في القرن العشرين وأثرهم في الدعوة».

النتاج العلمي:

١- «علاقة الكتب السماوية بالعلم وموقف العلماء منها وآثارها المترتبة».

٢- «الكفايات الدعوية - المدعو نموذجًا تطبيقيًّا».

٣- «قراءة صحيفة المدينة في ضوء فقه المواطنة».

٤- «رسالة مدح السعي وذم البطالة لابن كمال باشا - دراسة وتحقيق».

٥- سِلسلة بعنوان: (من وعي الأمة والمجتمع) وقد صدر لي منها: «فروض الكفاية وأثرها في تنمية الفرد والمجتمع»، و«الوسطية في الإسلام»، و«العقائد والمعتقدات وأثرها في المجتمع».

مجلة تدبر

المُستَخلَص

إن دراسة الأفعال القرآنية الدالة علىٰ الخلق والإيجاد موضوع متشعب له منزلة كبيرة في الفكر الإسلامي ينالها مِن إسنادها إلىٰ الله تعالىٰ؛ إذ تحمل من الحكم والعبر والعظات لكل مكلَّف راشد، فضلًا عما تحمل من دلالة إعجاز القرآن فهو معجزة النبي العقلية القائمة إلىٰ يوم القيامة، فهي باقية حية خالدة شاهدة بصدق نبوته ورسالته الخاتمة، فهذه دراسة بعنوان: (**دلَالَاتُ أَفْعَال خَلْقِ الأكوان والإنسان في ضوء القرآن – بثَّ وأحيَا وأنبت وأخرج وجعل ونشر نَمَاذج تطبيقية**).

– **أسباب دراسة أفعال الخلق والإيجاد**: تدور بين العلم والإيمان؛ لضياع بوصلة الإيمان من بعض شبابنا المعاصر فيحتاج الفكر الإسلامي اليوم لإظهار دلالاتها.

– **أهداف الدراسة**: كثيرة، ومن أهمها: إظهار الدلالة علىٰ الإيمان بالله مالك القُوىٰ وخالق الخلق من محض العدم.

– **منهج الدراسة هو**: المنهج الوصفي التحليلي.

– **نتائج الدراسة**: توصلت إلىٰ إثبات العقائد، وإظهار المنن الربانية، والرد المفحم علىٰ الملحد منكر البعث.

– أوصت الدراسة عموم الباحثين بالبحث في المفردة القرآنية بصفة عامة، والمفردة الدالة علىٰ أفعال القرآن الكريم الدالة علىٰ الخلق والإيجاد بصفة أخص، وهي مستفيضة فيه.

– **الكلمات المفتاحية**: (أفعال الخلق – الدلالة)، و(بثَّ – وأحيَا – وأنبت) وهي من النَّمَاذج التطبيقية التي تناولتها في هذه الدراسة الحالية.

pure nothingness.

The study uses the descriptive analytical method.

• The findings of the study: it reaches some conclusions that prove creeds, bring to light the divine bestowals and blessings and make a compelling response to those who repudiate Final Resurrection.

• The study recommends that all researchers should explore the Quranic vocabulary in general and the verbs denoting creation and origination in particular.

Keywords:

Verbs of creation- semantics- scatter-revive-cause to grow

The Semantics of the Verbs of the Creation of Universes and Man in the light of the Quran (scatter, revive, cause to grow, bring out, make, and resurrect): Applied Models

by
Dr. Al-Amir Mahfouz Mohammad Abu Aisha
One of the scholars of Al-Azhar

Abstract

The study of the Quranic verbs that refer to creation and origination is a complex topic that receives considerable attention in Islamic thought on the basis that they are attributed to Allah, the Almighty. They contain axioms and lessons for every responsible adult. These verbs also reveal the inimitability of the Quran as the top miracle of the Prophet's that will last until the Day of Resurrection. This paper is entitled "The Semantics of the Verbs of the Creation of Universes and Man in the light of the Quran (scatter, revive, cause to grow, bring out, make, and resurrect): Applied Models"

• The rationale for studying the verbs of creation and origination: the study is carried out for science and religious purposes because some of our contemporary young people have become less faithful and Islamic thought is in dire need of elucidating the implications and meanings of these verbs.

• The main objective of the study is to show evidence of belief in Allah, the omnipotent who creates all beings and creatures out of

المُقَدِّمَة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ قائد الغُرِّ المحجَّلين، المبعوث رحمة للعالمين بوحي معجز، وبعد.. فإن القرآن الكريم خير الكلام، وأطيب الكلم، وهو كلام الله -تعالىٰ- الذي لا تَملُّ الألسن من ترديد ألفاظه، ولا تكَلُّ الآذان من تكرار سماعه، ولا تسأم القلوب من التفكر في حكمة ألفاظه ومبانيه؛ للوقوف علىٰ غزارة معانيه، إذ دعانا الله لقراءته، وتكرير ترتيله، وحضَّنا علىٰ فهمه وتدبره، وأمرَنا بالعمل بمحكمه، والإيمان بمتشابهه.

إن (الأفعال الدالة علىٰ الخلق) موضوع الدراسة لها منزلة كبيرة في العقيدة الإسلامية يظهر جليًّا في نسبتها إلىٰ الله ﷻ إذ تحمل من الشواهد والأدلة علىٰ عقيدة كلِّ مكلف راشد، كما تحمل دلالة هادية للحائرين، فضلًا عما تحمل من دلالة إعجاز القرآن فهو معجزة النبي ﷺ مستمرة في خطاب عقلاء بني آدم إلىٰ يوم القيامة، فهي باقية حية خالدة شاهدة بصدق نبوته ورسالته الخاتمة، فهذه دراسة بعنوان: (**دلَالَاتُ أَفْعَال خَلْقِ الأكوان والإنسان في ضوء القرآن - بثَّ وأحيا وأنبت وأخرج وجعل ونشَر نماذج تطبيقية**).

◆ حدود الدراسة:

أولًا: لوحظ بعد تدبر القرآن المجيد وجود أفعالٍ قرآنية شريفة تدل علىٰ عموم خلق وإيجاد الأكوان والإنسان، وهي: (**بثَّ، وأحيَا، وأنْبَت، وأَخرَج، وجعَل، ونَشَر**)، بعدما سبقت دراسة سبعة أفعال للخلق والإيجاد، هي: (**خَلَق،**

وصوَّر، وسوَّىٰ، وأَنْشَأ، وفَطَر، وذَرَأ، وبَرَأ)، مستخرجًا دلالاتها الإيمانية، مبينًا وجه التحدي وإعجاز البشرية به، مكتفيًا بها؛ (إذ ليس المقصود استقصاء جميع أفعال القرآن الدالة علىٰ الخلق)[١].

ثانيًا: تبين لي -بعد البحث والتدبر في القرآن- وجود أفعالٍ قرآنية للخلق تدل علىٰ خصوص خلق وإيجاد الإنسان، وهي: **(عدَل، وركَّب، وجمع، وكسَا)**، كما وُجدت أفعالٌ تدل علىٰ خصوص خلق الأكوان في النشأة الأولىٰ، وهي: **(بَنا، ودحا، وطحا، وصنع، وأتقن)** كما لوحظ وجود أفعالٍ تدل علىٰ إعادة عموم خلق الله تعالىٰ وهما فعلان: **(بعث وأعاد)**[٢]، وإن بقية الأفعال الدالة علىٰ الخلق في جملتها تدل علىٰ عموم إتقان الصنع، وتجويد إحداث الخلق، فآيات القرآن تنص علىٰ خلق الأنفس والآفاق، وما فيها من حكمة الله تعالىٰ حيث يكون تحت كل فعل دلالة أو إشارة تتعلق بالإعجاز العلمي في الكتاب الكريم، ومعلوم كثرة الأفعال الدالة علىٰ الخلق الواردة في القرآن، والقصد معقود علىٰ دراسة بقية الأفعال الدالة علىٰ الخلق، واستقرائها علىٰ سبيل التمام.

◆ دوافع دراسة الأفعال القرآنية الدالة على الخلق:

أولًا: فوائد دراسة الأفعال القرآنية الدالة علىٰ الخلق والإيجاد تنمي العلم

(١) أفعال الخلق والإيجاد في القرآن ودلالاتُها د. الأمير محفوظ محمد، مجلة تدبر التابعة لوزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية، العدد السادس، السنة الثالثة في شهر رجب سنة (١٤٤٠هـ) مارس (٢٠١٩)، (ص: ٣٥٧).

(٢) سأتناول هذه الأفعال -إن شاء الله- فِي حدود الدراسة، فإذا ضاق المقام فسوف أتناول بقية الأفعال الدالة علىٰ الخلق والإيجاد في دراسة أخرىٰ، بغية استخراج مواطن دلالاتها علىٰ الإعجاز في فعل الخلق والإيجاد من عدم.

والإيمان؛ وذلك لضياع بوصلة الإيمان من بعض شبابنا المعاصر فيحتاج الفكر الإسلامي اليوم لإظهار دلالاتها لثبوت ما ينكره بعض الملاحدة اليوم، فمن فوائد الدراسة ما يلي:

١- الإيمان بالله تعالىٰ، حيث يجمعها جميعًا أنها أفعال الله ﷻ خالق الأكوان والإنسان بما تحمل من دعوة للتحدي بالأفعال الدالة علىٰ الخلق والإيجاد من عدم، وثبوت إعجاز البشرية عن ذلك، وما تحمل من عقائد أساسية واجبة التسليم، كعقيدة البعث بعد الموت، وإعادة الخلق.

٢- يدعو لدراسة الأفعال الدالة علىٰ الخلق غزارة معانيها اللغوية ودلالاتها، فيدل علىٰ ضرورة دراسة دلالاتها العلمية، وهذا مجال أهل الذكر في كافة مجالات العلم الطبيعي.

ثانيًا: أن الخلق والأمر لله تعالىٰ وحده، قال تعالىٰ: ﴿لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وليس لأحدٍ سواه خلْقُ شيء، أو أمرٌ بشيء لا علىٰ سبيل المشاركة أو المعاونة لله تعالىٰ في ذلك، ولا علىٰ سبيل الاستقلال من دون الله؛ فإن الخلق خلقه، والأمر أمره.

ثالثًا: دلالة أفعال الخلق والإيجاد علىٰ مواطن الامتنان الرباني علىٰ كافة العباد؛ إذ أوجد الإنسان من عدم، ومنحه الحواسَّ والمهارات المختلفة؛ فدراسة الأفعال القرآنية الدالة علىٰ الخلق تظهر، وتبرز مواطن امتنان الله علىٰ الإنسان؛ لبيان استحقاق الله الخالق للتوحيد والعبادة، وليشكر الله -تعالىٰ- علىٰ نعمائه وآلائه متفكرًا فيها، قال تعالىٰ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣].

أهداف دراسة أفعال الخلق والإيجاد:

من أهداف دراسة أفعال الخلق والإيجاد إظهار دلالتها، وفوائدها الفرعية المستفادة؛ لأن كل فعل له دلالة عامة، وأخرىٰ خاصة من حيث الجملة، وهي:

الدلالة الأولىٰ: عامة تشترك جميع أفعال الخلق والإيجاد كلها فيها سواء؛ وهي الدلالة علىٰ خلق الله تعالىٰ، وإيجاد الأكوان والإنسان من عدم علىٰ السواء، ولو كانت دلالة علىٰ سبيل الإجمال؛ لأن هذا غرض أصلي هو بيان الخلق والإيجاد.

الدلالة الثانية: دلالة خاصة بذات كل فعل للخلق؛ بحكم الدلالة اللغوية التي قد تتعدد، فيفيد الفعل الواحد عدة معانٍ: **الأولىٰ**: الخلق والإيجاد، **والثانية**: خصوص معنىٰ معين فيه حيث تتنوع الدلالة الخاصة، وتختلف من فعل دالٍّ علىٰ الخلق إلىٰ آخر.

الدلالة الثالثة: تعدد الفوائد الفرعية المستفادة من الأفعال الدالة علىٰ الخلق، فثمَّة غرض فرعي هو إبراز وإظهار مواضع الامتنان؛ لذا قال تعالىٰ: ﴿كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٤]، وقد سبقت الإشارة إليه.

وهناك غرض فرعي آخر يتمثل في توجيه الخلق إلىٰ أن عملية الخلق سواء قبل خروج الإنسان من بطن أمه للحياة، أو بعد خروجه، وكذلك بيان أحوال تنميته وتغذيته كجسم نامٍ باستمرار؛ لذا قال: ﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾ [ق: ٨] وهو دليل عناية الله بخلقه.

وهناك غرض فرعي ثالث يبدو في توجيه إثبات البعث بعد الموت، فتلك دلالة علىٰ توالي عناية الخالق بخلقه بعد الميلاد؛ كدلالة بينها جميعًا دالة علىٰ الخلق

والإيجاد ابتداء في النشأة الأولىٰ، أو إعادة في النشأة الأخرىٰ، وربما كان بعض أفعال الخلق والإيجاد أظهر دلالة من بعض، وبعضها أخفىٰ دلالة من بعض؛ إذًا لا تخلو أفعال الخلق من دلالة عامة.

ومن الجدير بالإشارة أن هناك فرقًا بين (الفائدة الفرعية) وبين (الدلالة الخاصة)؛ لأن الوقوف علىٰ الفوائد الفرعية يقف عليها الباحث من خلال البحث والنظر والتدبر في مواضع أفعال الخلق والإيجاد، فالفائدة الفرعية تتعدد مواضعها، وتتأكد بتكرار الإشارة إليها في تلك الأفعال؛ كالفائدة المستفادة من الفعل (يبعث، ويعيد.. إلخ) علىٰ البعث، بينما (الدلالة الخاصة) تستقل بفعل معين من الأفعال الدالة علىٰ الخلق دون غيره من الأفعال؛ كدلالة خصوص التكثير من الفعل (بثَّ).

الدراسات السابقة:

لا شك في أن مصنفات غريب اللغة العربية قد تطرقت إلىٰ جانب من أفعال الخلق والإيجاد، وممن اعتنىٰ بمفردات القرآن الإمام الراغب[1] في كتابه: **(المفردات في غريب القرآن)** وقد رجعت إليه وانتفعت به أيما انتفاع، وهو مفيد في تقسيماته وتفريعاته، وللراغب كذلك دراسة أخرىٰ اعتنىٰ فيها بلفت النظر إلىٰ

(١) الراغب: (توفي حوالي: ٥٠٢هـ) هو: الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني العلامة الماهر، المحقق الباهر، أبو القاسم الملقب بالراغب، صاحب التصانيف، ترجم له الإمام الذهبي في الطبقة الرابعة والعشرين، وقال: «كان من أذكياء المتكلمين، لم أظفر له بوفاة ولا بترجمة، وكان -إن شاء الله- في هذا الوقت حيًّا، يسأل عنه». ينظر: سير أعلام النبلاء شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف: الشيخ شعيب الأرناؤوط، (٢١/ ١٢٠-١٢١)، والأعلام، خير الدين الزركلي، (٢/ ٢٥٥).

خلق الأكوان والإنسان، هي كتابه: (**تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**)، كما أن للإمام للفيروز آبادي[1] كتاب (**بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**) جمع بين الشارد والوارد، ثم للإمام ابن قيم الجوزية[2] كتابٌ نافعٌ هو: (**مفتاح دار السعادة**) قد أشار فيه إلىٰ مواطن العبرة، ومواضع المنة فأفاد وأجاد رحمة الله تعالىٰ عليه، كما أن علماء تفسير القرآن شرحوا، وقدَّموا زادًا مفيدًا لشرح أفعال الخلق والإيجاد، مع خلط بين التفسير وبين استخلاص دلالة أفعال الخلق والإيجاد.

كما وقفتُ علىٰ دراسةٍ بعنوان: (من أفعال الخلق في القرآن الكريم دراسة معجمية وموضوعية) للدكتور عبد المجيد بن محمد بن علي الغيلي، وقد انصب جل اهتمامه علىٰ الجانب اللغوي لما عرض له من أفعال[3]، فاعتنىٰ بالجانب

---

(١) الفيرزآبادي: (٧٢٩-٨١٧هـ) هو: مجد الدِّين محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن عمر الفيروزآبادي أبو الطَّاهر اللُّغوي الشافعي العلَّامة ولد بكازرون من أعمال شيراز، ونشأ بها فحفظ القرآن وهو ابن سبع وجود الخط، ثم نقل فيها كتابين من كتب اللغة وانتقل إلىٰ شيراز وهو ابن ثمان وأخذ اللغة والأدب، وكثرت رحلاته بين مصر وفارس والهند والشام وبغداد واليمن وجاور بمكة فترة، ومات وقد متع بسمعه وحواسه بزبيد وكان يرجو وفاته بمكة فما قدر. ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، (١٠/ ٧٩-٨٦)، وشذرات الذهب، لابن العماد، (٩/ ١٨٦- ١٩٣).

(٢) ابن قيم: (٦٩١- ٧٥١هـ)، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزُّرعي، أبو عبدالله، مولده ووفاته بدمشق، وهو أحد كبار علماء الحنابلة، تعلم علىٰ التقي سليمان وابن عبد الدائم، وابن الشيرازي ولزم الشيخ ابن تيمية. ينظر: شذرات الذهب، لابن العماد، (٨/ ٢٨٧- ٢٩١).

(٣)نشرت هذه الدراسة علىٰ موقع الدكتور عبد المجيد محمد الغيلي «رحىٰ الحرف» سنة (١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م) وله عدة دراسات في بعض المفردات القرآنية هي: «الوهْن في القرآن الكريم دراسة موضوعية»، و«من ألفاظ القوة ومقابلاتها في القرآن الكريم دراسة معجمية» و«دراسة معجمية =

اللغوي بينما تقوم دراستي لدلالات أفعال الخلق والإيجاد علىٰ التصنيف والتقسيم لها وفق تطابق الدلالة علىٰ الإيجاد من عدم.

وإن لكاتب هذه الدراسة تجربة أولية سابقة بعنوان: (أَفْعَالُ الخَلْقِ وَالإِيجَادِ فِي القرآن ودِلَالَاتُـها)[1]، ضمنتها مواضع الدلالة والفائدة لعدد من تلك الأفعال، وقد رأيت أن ألحق بها دراسة أخرىٰ لعدد آخر من أفعال الخلق والإيجاد؛ لذلك تقوم هذه الدراسة الحالية بإفراد أفعالٍ أخرىٰ للخلق والإيجاد هي: (بَثَّ، وأَحْيَا، وأَنْبَتَ، وأَخرَجَ، وجعَل، ونشَر) بالبحث والنظر والتدبر.

منهج دراسة بقية أفعال الخلق والإيجاد:

تقوم الدراسة علىٰ المنهج (الوصفي التحليلي) باستقراء ما في القرآن الكريم من أفعال تفيد دلالة الخلق من دلالات، من خلال جمع ما يتيسر في هذه الدراسة من أفعال الخلق والإيجاد، ثم أقوم بالبحث في كل فعل من هذه الأفعال عما يلي:

١) المعاني اللغوية لكل فعل للخلق علىٰ جهة الاستقلال، مع استثمار ما يدل من هذه المعاني علىٰ الخلق والإيجاد سواء علىٰ جهة الإنشاء عند النشأة الأولىٰ، أو استكمال الخلق وتسويته وتعديله؛ وذلك لكمال الخالق -تعالىٰ- فيما خلق في أحسن تقويم، أو عند النشأة الأخرىٰ وهي منها.

= لخمسة ألفاظ في القرآن الكرين: بنىٰ، ورفع، وسع، الضحىٰ، الحبك» وله: «السماء والسموات في القرآن الكريم» منشور سنة (١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥) وقد اعتنت هذه الدراسات بدلالة المفردة القرآنية.

(١) أَفْعَالُ الخَلْقِ وَالإِيجَادِ فِي القرآن ودِلَالَاتُـها د. الأمير محفوظ محمد، منشور في مجلة تدبر التابعة لوزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية، العدد السادس السنة الثالثة في رجب (١٤٤٠هـ) مارس (٢٠١٩).

٢) الوقوف بعد تدبر أفعال الخلق والإيجاد علىٰ أوجه دلالة الفعل علىٰ الخلق والتقدير، واستخراج مواطن الفائدة؛ لأستوفِي دراستها جميعًا قدر الجهد والطاقة.

٣) استخراج دلالة اختلاف القراءات المتواترة لبعض أفعال الخلق والإيجاد مثل (نشر ونشز) مع بيان معنىٰ الفعل وفق كل قراءة، والوقوف علىٰ مواطن دلالة الأفعال علىٰ العقائد وهي كثيرة، أظهرها: عقيدة البعث والنشور، والمعاد بعد الموت.

خطة الدراسة وتقسيمها:

تتكون هذه الدراسة من مقدمة ومبحثين:

المقدمة: وتشتمل علىٰ حدود الدراسة، ودوافعها، وأهدافها، والدراسات السابقة، وخطة الدراسة، وتقسيمها.

المبحث الأول: (معانِي أفْعَال القرآن الدَّالة علىٰ الـخلْق ودلالاتها).

ويتكون من المطالب التالية:

المطلب الأول: معاني الفعل (بثَّ) ودلالته.

المطلب الثاني: معاني الفعل (أحيا) ودلالته.

المطلب الثالث: معاني الفعل (أنبت) ودلالته.

المطلب الرابع: معاني الفعل (جعل) ودلالته.

المطلب الخامس: معاني الفعل (أخرج) ودلالته.

المطلب السادس: معاني الفعل (نشر) ودلالته.

المبحث الثاني: (مواجهة الإلحاد في ضوء أفعال القرآن الدالة على الخلق والإيجاد).

ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: ضرورة النظر في أفعال القرآن الدالة على الخلق والإيجاد.

المطلب الثاني: علاقة الأفعال الدالة على الخلق بمعالجة الإلحاد.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

الفهرس العام بمحتوى الدراسة.

وهذا أوان الشروع فيما نويتُ، وتنفيذ ما قصدتُّ، وفاء بما وعدت؛ لأن نيَّة المرء خير من عمله سائلًا المولى ﷻ التوفيقَ مستمِدًّا منه -سبحانه- السداد والرشاد، إنه ولي ذلك، وهو قادر عليه؛ عسى أن يوفِّيَ عليه بالأجر الأوفَى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

د. الأمير محفوظ محمد

- القاهرة - (ذو الحجة ١٤٤١- أغسطس٢٠٢٠).

المبحث الأول

معاني أفْعَال القرآن الدَّالة على الخلْق ودلالاتها

إن أفعال الخلق والإيجاد التالية دلالتها عامة علىٰ خلق الإنسان والأكوان، وسوف أقف علىٰ معانيها في اللغة أولًا، ثم أبين ما تيسر من دلالاتها، وهي كما يلي:

المطلب الأول:

معاني الفعل (بثَّ) ودلالته

أولًا: معاني الفعل (بثَّ) في اللغة:

الفعل (بَثَّ) أشار علماء اللغة إلىٰ أن معنىٰ: بثَّ يَبُث بثًّا: نشر ينشر نشرًا، وبثُّ الشيء: تفريقه، وخلق الله الخلق فبثَّهم في الأرض، ومنها قوله: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١]، أي: نَشَر وكثَّر، وبثثت خبرًا: نشرته، كما في حديث أم زَرع: «**زَوْجِي لَا أَبُثُّ خبرَهُ**»(١)، أي: لا أنشره لقبح آثاره، وبثَّت البُسُط: إذا بسطت، ومنه قوله: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٦]، أي: كثيرة، وقوله: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقعة: ٦]، أي: غبارًا منتشرًا، وتقول: بثَّت الريحُ الترابَ: إذا فرَّقته وأثارته دلالة

(١) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» كتاب النكاح، باب حسن المعاشرة مع الأهل، رقم: (٥١٨٩)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب فضائل الصحابة باب: حديث أم زرع، رقم: (٢٤٤٨) كلاهما من حديث السيدة عائشة.

على التفريق وإثارة الشيء، ومنها قوله: ﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾[القارعة: ٤]، أي: المنتشر المهيَّج بعد ركونه وخفائه، وورد أن أصل البثِّ: التفريق وإثارة الشيء.

وبث النفس: ما انطوت عليه من غمٍّ وسرٍّ، وقيل: البثُّ في الأصل شدة الحزن والمرض الشديد، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، بمعنى الغم الذي يبثه عن الكتمان؛ أي: غمي الذي أبثه عن كتمان، فهو مصدر في تقدير مفعل، أو بمعنى غمي الذي بث فكري، نحو: توزعني الفكر، فيكون في معنى الفاعل، وفي حديث كعب بن مالك قال: «**فَلَمَّا تَوَجَّهَ قَافِلًا مِنْ تَبُوكَ حَضَرَنِي بَثِّي**»(١)، أي: اشتد حزني(٢).

إذًا يحمل فعل البثِّ من المعاني ما يلي: أولًا: التكثير. **ثانيًا:** التفريق والتهييج والإثارة. **ثالثًا:** الانتشار بالتكاثر وهو يكون بالتزاوج والاقتران، ومن المعاني المستفادة من الفعل (بث) إذاعة الأخبار ونشرها، ومنه بثُّ الهم: كتمانه، فهو من الأضداد.

◆ ثانيًا: دلالات الفعل (بثَّ):

تدل دلالات الفعل (بث) على الخلق فيما يلي:

أولًا: اقتران الفعل (بَثَّ) بكلمة (**الدَّابَّة**)، وهي: كل شيء يدبُّ على وجه

(١) أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» كتاب التوبة، باب: توبة كعب بن مالك صاحبيه، رقم: (٢٧٦٩)، وأحمد في «مسنده»، رقم: (١٥٧٨٩) (٢٥/ ٦٩)، كلاهما من حديث كعب بن مالك الأنصاري.

(٢) ينظر: مادة (بث) في: كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، (٨/ ٢١٧)، والصحاح تاج اللغة، للجوهري، (١/ ٢٧٣)، ولسان العرب لابن منظور، (٤/ ١١٤)، والمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، (ص: ١٠٨).

الأرض من إنسان وحيوان، وفي العرف تطلق علىٰ الخيل والحمار والبغل[(١)]، ورد ذلك في قوله: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [البقرة: ١٦٤]، أي: خلق الله كل دابة، وأوجدها من عدم، ثم انتشرت في الأرض، وقوله: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [لقمان: ١٠]. وقد ورد في القرآن الفعل (بثَّ) مع خلق كل دابة بعد تهيئة الأرض للحياة، فقال: ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [البقرة: ١٦٤]؛ لبيان تمام خلق الأرض، وتهيئتها لاستقرار حياة الكائنات.

ثانيًا: ورد الفعل (بثَّ) بعد استقرار الأرض بالجبال، وثبات الحياة في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [لقمان: ١٠] ليدل علىٰ أن البث كان بعد تهيئة الأرض لحياة الإنسان، وناسب هذا -أيضًا- ورود الفعل (بثَّ) خاصًّا بالدواب من دون الإنسان في قوله تعالىٰ: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٤]، خاص بخلق الدواب حيث عطف علىٰ خلق الناس، والعطف يقتضي المغايرة، (قوله: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ أي: خلق الإنسان، وقوله: ﴿وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ﴾ إشارة إلىٰ خلق سائر الحيوانات، ووجه دلالتها علىٰ وجود الإله القادر المختار أن الأجسام متساوية فاختصاص كل واحد من الأعضاء بكونه المعين، وصفته المعينة وشكله المعين، لا بد أن يكون بتخصيص القادر المختار، ويدخل فيه انتقاله من سن إلىٰ آخر، ومن حال إلىٰ آخر)[(٢)].

---

(١) ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسىٰ الكفوي أبو البقاء (ت:١٠٩٤هـ)، (ص: ٤٣٨).

(٢) التفسير الكبير، للإمام الرازي، (٢٧/ ٦٧٠).

وقال الراغب: (إشارة إلىٰ إيجاده تعالىٰ ما لم يكن موجودًا وإظهاره إياه)[1]، فالفعل (بثَّ) عام في خلق كل ما يدب علىٰ الأرض، مما يشمل الحيوان لإظهار مِنَّة الله تعالىٰ علىٰ الإنسان، ودلالة هذا الفعل علىٰ إظهار موضع المنة فيه أنه يعيد إلىٰ الذهن دلالة الفعل (ذَرَأَ)[2]، ففيه دلالة علىٰ التكثير بالنسل.

ثالثًا: ورد الفعل (بثَّ) مع خلق (الإنسان) خاصة في قوله: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١]، ومعنىٰ هذا الفعل في التفسير: (﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾ أي: نشرَ من تلك النفس وزوجها المخلوقةِ منها -يقصد آدم وحواء- بطريقِ التوالدِ والتناسلِ، ﴿رِجَالًا كَثِيرًا﴾ نعت لكلمة (رِجَالًا) مؤكدةٌ لما أفاده التنكيرُ من الكثرةِ والإفرادِ باعتبار معنىٰ الجمع، أو العددِ، وقيلَ: هو نعتٌ لمصدرٍ مؤكِّدٍ للفعل، أي: بثًّا كثيرًا ﴿وَنِسَآءً﴾ أي: كثيرة، وتركُ التصريحِ بها للاكتفاء بالوصف المذكورِ)[3]، وقال ابن عاشور[4]: (**والبث: النشر والتفريق للأشياء الكثيرة.. مع ما يقتضيه فعل البث من الكثرة**)[5]، فدلالة هذا الفعل علىٰ تكثير بني آدم بالتناسل والتكاثر.

رابعًا: دلالة الفعل (بث) مقارنة بالفعل (برأ وذرأ) فهناك فرق بينها؛ لأن تدبر

(١) المفردات في غريب القرآن، للإمام الراغب، (ص: ١٠٨).

(٢) ينظر: أَفْعَالُ الخَلْقِ وَالإِيجَادِ فِي القرآن، د. الأمير محفوظ محمد، (ص: ٢٩٩).

(٣) إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، (٢/ ١٣٨).

(٤) ابن عاشور: (...-١٢٨٤هـ/ ...-١٨٦٨م)، هو: محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور: نقيب أشراف تونس وكبير علمائها، في عهد الباي محمد الصادق باشا، ولي قضاءها سنة (١٢٦٧هـ) ثم الفتيا (سنة ١٢٧٧) فنقابة الأشراف وتوفي بتونس. ينظر: الأعلام الزركلي، (٦/ ١٧٣)، ومعجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، (١٠/ ١٠١).

(٥) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (ت: ١٣٩٣هـ)، (٤/ ٢١٧)، بتصرف.

دلالة الأفعال الثلاثة (بثَّ، وذَرَأ، وبَرَأ) علىٰ الخلق والإيجاد يدعو إلىٰ استشراف هذا الفَرْق الجَوهري الذي بينها؛ ففي كلِّ فعل منها دلالة معنىٰ يختص به، حيث يفيد الفعل (بَثَّ): (تفريق أشياء كثيرة في مواضع مختلفة متباينة، وإذا فرَّق بين شيئين لم يقل: إنه بثَّ، وفي القرآن: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [البقرة: ١٣٦])[١]، بينما يفيد الفعل (ذرأ) معنىٰ الإظهار؛ لأن (معنىٰ ذرأ الله الْخلقَ: أظهرهم بالإيجاد بعد الْعَدَم) [٢]، كما يفيد الفعل (برأ) (تَمْيِيز الصُّورَة، وَقَوْلهمْ: برأَ الله الْخلق أَي: ميَّز صُوَرَهم، وَأَصله الْقطع، وَمِنْه الْبَرَاءَة)[٣]، الأفعال الثلاثة تدور بين إفادة التكثير بالتفريق والبث، أو الإظهار بالذَّرءِ، أو تمييز الصورة بالبَّرءِ مع اشتراكها واجتماعها علىٰ معنىٰ الخلق والإيجاد من عدم، يدل علىٰ تنوع أساليب القرآن في التعبير عن الأمر الواحد.

خامسًا: دلالة الأفعال الثلاثة (بثَّ، وذَرَأ، وبَرَأ) علىٰ التكثير كأحد دلالاتها بعد الخلق فيلاحظ استعمال القرآن لهذه الأفعال الثلاثة للدلالة علىٰ التكثير والانتشار دون استعمال الفعل (كثَّر)؛ فلما أريد بيان حقيقة الحياة الدنيا، قال تعالىٰ: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد: ٢٠]، وقال: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١ - ٢]؛ ليبيِّن أن الكثرة العددية ليست محل المنة؛ فربَّ عددٍ عاقلٍ قليلٍ يفوقُ عددًا كثيرًا جاهلًا لا يحسن عيش الحياة؛ لذلك يشير القرآن إلىٰ معنىٰ التكثير بالتكاثر والتناسل، فيؤكد علىٰ أن ذلك أحد

(١) الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري (توفي نحو: ٣٩٥هـ)، (ص: ١٥١). للفرق بين الفعل (فرق) والفعل (بث).

(٢) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، (ص: ١٣٨).

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

مظاهر الحياة الدنيا، وأنه في محل الذم إذا كانت كثرة ضعيفة، أو شغلت عن عبادة الله تعالىٰ، وطاعته.

إن استمداد المعنىٰ اللغوي لفعل (البث) من الكثرة والانتشار عمل بمعتقد استخلاف الله الإنسان في الأرض؛ ليمارس الحياة وفق مراد الله تعالىٰ، ولا يخالف ذلك ما ورد في السنة النبوية من قول النبي: «**تَزَوَّجُوا الوَدُودَ الوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ**»(١)، الكثرة غير مرادة لذاتها، فالحديث يدعو للكثرة العاقلة الرشيدة، وتدل روايات الحديث علىٰ ذلك، ومنها رواية: «**وَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ، فَلَا تُسَوِّدُوا وَجْهِي**»(٢)، وفي رواية: «**وَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ، فَلاَ تَمْشُوا بَعْدِي الْقَهْقَرَىٰ**»(٣)، وفي رواية: «**وَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ، فَلَا تَقْتَتِلُنَّ بَعْدِي**»(٤)، وفي رواية: «**إِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ، فَلَا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»(٥)، فقد تؤدي

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» كتاب النكاح، باب: في تزويج الأبكار رقم: (٢٠٥٠) (٣/ ٣٩٥)، وإسناده قوي، والنسائي في «سننه» كتاب النكاح، باب: كراهية تزويج العقيم، رقم: (٣٢٢٧)، كلاهما من حديث معقل بن يسار عن رجل من الصحابة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» رقم: (٢٣٤٩٧) (٣٨/ ٤٨٢)، إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أن فيه عن رجل من الصحابة فاسم الصحابي مبهم، ولا تضر الجهالة باسمه؛ لأن الصحابة كلهم عدول ﷺ.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» رقم: (١٤٨١١)، (٢٣/ ١١٧)، من حديث جابر بن عبدالله، وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» رقم: (١٩٠٦٩)، (٣١/ ٤١٩)، من حديث الصنابح، إسناده صحيح مع خطأ في اسم الصحابي، وهو الصُّنَابِح بن الأَعْسَر الأحمَسِي، فمن قال: الصنابحي بياء النسبة فقد أخطأ.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» رقم: (١٩٠٨٤)، (٣١/ ٤٣٤)، من حديث الصنابح وإسناده ضعيف.

الكثرة لقتل واختلاف وسوء خلُق، أو الحديث جوابٌ خاص لطلب رجل زواج امرأة عقيم فنهاه النبي ﷺ؛ وهي رواية أبي داود، أو الحديث بيان فضل كثرة الأتباع المهتدين من أهل الإيمان، وأن الكثرة تحسن بالتربية والتوجيه والمعرفة حتىٰ بلوغ الرشد، وأن التكاثر يدل علىٰ التناسل المجرد، وليس هذا محط مباهاة أو مفاخرة، فأشارت السنة للكثرة المقيدة برعاية الناشئة وتربيتها.

سادسًا: الإشارة إلىٰ وجود خلق لله تعالىٰ في السماوات، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [الشورىٰ: ٢٩]، وفي التفسير: (كيف جُوِّز إطلاق لفظ الدابة علىٰ الملائكة؟ قلنا: من وجوه: **الأول**: أنه قد يضاف الفعل لجماعة، وإن كان فاعله واحدًا، ومنه قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢]. **الثاني**: أن الدبيب هو الحركة، والملائكة لهم حركة. **الثالث**: لا يبعد أن يقال: إن الله خلق في السموات أنواعًا من الحيوانات يمشون مشي الأناسي علىٰ الأرض)[(١)]، إذًا يدل الفعل (بثَّ) علىٰ تكثير خلق الإنس والجن في الأرض، كما يدل علىٰ تكثير خلق الملَك، كما قال: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨]، دلالة علىٰ عموم تجدد خلق الله لما لا نعلم نوعه، أو جنسه، أو إحصاء عدده، وما لا نعلم من خلْقٍ لله في الأرض والسماء.

إذًا يدور الفعل (بَثَّ) فِي القرآن بين معاني الخلق من العدم، والتكثير، والانتشار، والتفريق؛ ليدل علىٰ عموم خلق كل ما يدب علىٰ الأرض من إنسان وحيوان، كما ورد الفعل (بثَّ) ليبرهن علىٰ انتشار المخلوقات في الأرض، كما يدل فعل البث علىٰ تكثير الخلق بعدما تهيأت الأرض، واستقرت بالجبال، وأتيحت الحياة للإنسان، كما يشير الفعل (بث) لوجود حياة في السموات.

(١) التفسير الكبير، للرازي، (٢٧/ ٥٩٩-٦٠٠) بتصرف يسير.

المطلـــب الثاني:
معاني الفعل (أحيا) ودلالته

أولًا: معاني الفعل (أحيا) في اللغة:

أفاد الخليل أن الفعل (أحيىٰ) من (حيو)، والحيوة كتبت بالواو لُيعْلَم أن الواو بعد الياء، ويقال: بل كُتِبَتْ علىٰ لغة من يُفَخِّم الألف التي مَرْجِعُها إلىٰ الواو نحو: الصلوة والزّكوة. ويقال: حَيِيَ يَحْيا فهو حَيٌّ، ويقال للجميع: حَيُّوا. وحيا الحَياة: ضد الموت والحَيُّ: ضدُّ الميّت. والمَحْيا مَفْعَلٌ من الحياة. تقول: مَحْيَاي ومماتي. والجمع المحايىٰ،، وأَحْياهُ الله فَحَيِيَ وحَيَّ أيضًا، والإدغام أكثرَ لأنَّ الحركة لازمه، فإذا لم تكن الحركة لازمةً لم تُدغَم، كقوله تعالىٰ: ﴿أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [القيامة: ٤٠]، وقال أبو زيد: حَيِيتُ منه أَحيا: اسْتَحْيَيْتُ، وتقول في الجمع: حيَوا، ويقال: حَيِيَ يَحْيَا فهو حيٌّ، وللجميع: حَيَوا[(١)].

والحيوان والحياة واحد، والحيوان: دار الحياة الحقيقية الدائمة التي لا تفنىٰ، لا حياة من يبقىٰ مدة ثم يفنىٰ، ويقال علىٰ ضربين: **الأول**: ما له حاسة. **الثاني**: ما له بقاء أبدي، مذكور في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، والحَيَوانُ: مقر الحياة، ويطلق علىٰ كلِّ ذي روحٍ، والحَياة: ضد الموت، والحَيُّ: ضدُّ الميِّت، والمَحْيا مَفْعَلٌ من الحياة. والحي من كل شيء نقيض الميت، والحي: كل متكلم ناطق، والحي من النبات: ما كان طريًّا يهتز، والحي الواحد من أحياء

(١) ينظر: (العين)، للخليل (٣/ ٣١٧). الصحاح تاج اللغة، للجوهري، (٦/ ٢٣٢٣)، وجمهرة اللغة، لابن دريد، (١/ ١٠٣).

العرب، والـمَحْيَا: مَفْعَلٌ من الحياة، ويقع علىٰ المصدر والمكان والزمان، تقول: محياي ومماتي، وفي حديث حنين قال للأنصار: «**هَاجَرْتُ إِلَىٰ اللهِ وَإِلَيْكُمْ، وَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ**»(١)، والحَيا مقصور: الخصب والمطر، وفي حديث القيامة: «**فَيُصَبُّ عَلَيْهِم مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ**»(٢)، والمحاياة الغذاء للصبي بما به حياته، والمحيَّا: الوجه، وقوله: ﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ﴾ [النحل: ٩٧]، وهو الرزق الحلال(٣). إذًا من معاني الفعل (أحيا) الإخراج إلىٰ الحياة، وتحرك لما دبت فيه من الحياة.

◆ ثانيًا: دلالات الفعل (أحيى):

من دلالات الفعل (أحيىٰ) علىٰ الخلق والإيجاد ما يلي:

أولًا: ورد الفعل (أحيىٰ) لإحياء الأرض الميتة، فقد أسند فعل الإحياء إلىٰ الله تعالىٰ في مواضع قرآنية للإشارة لإحياء كل ميت غير نامٍ من الأرض وسائر البلاد، لإظهار المنة الربانية من خلال التعبير بـ(إحياء الأرض الميتة) بأساليب مختلفة منها ما يلي:

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، رقم: (١٧٨٠)، واللفظ له، وأحمد في «مسنده»، رقم: (١٠٩٤٨)، (١٦/ ٥٥٥) كلاهما من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» كتاب الأذان باب في فضل السجود، رقم: (٨٠٦)، واللفظ له، والإمام مسلم في «صحيحه» كتاب الإيمان باب طريق معرفة الرؤية، رقم: (٢٩٩) كلاهما من حديث أبي هريرة، و(ماء الحياة) هو: ماء من شرب منه أو صب عليه لا يموت أبدًا.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (٢/ ١٢٢)، ولسان العرب لابن منظور، (١٤/ ٢١١-٢١٦)، والمفردات في غريب القرآن، للراغب، (ص: ٢٦٨-٢٧٠).

الأسلوب الأول: التعبير عن إحياء الأرض الميتة بأسلوب الخبر العجيب الذي يحتاج إلىٰ التأمل والتدبر، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ [فصلت: ٣٩]، (والخشوع: التذلل، وهو مستعار لحال الأرض إذا كانت مقحطة لا نبات عليها. والاهتزاز حقيقته: مطاوعة هزِّه، إذا حرَّكه بعد سكونه فتحرَّك، وهو هنا مستعار لرَبْوِ وَجهِ الأرض بالنبات، ويؤخذ من مجموع ذلك أن هذا التركيب تمثيل، شبه حال قحولة الأرض ثم إنزال الماء عليها، وانقلابها من الجدب إلىٰ الخصب، والإنبات البهيج بحال شخص كان كاسف البال رثَّ اللباس فأصابه شيء من الغنىٰ فلبس الزينة واختال في مشيته زهوًا)[(١)]، فهذا إخبار عن انتقال الأرض من حال الخاشع الذليل لحال ذي الزينة والفخار بأفعال عجيبة غريبة، هي: (أنزلنا، واهتزت، وربت)؛ للدلالة والتنبيه علىٰ إمكانية فعل الإحياء من عدم.

الأسلوب الثاني: التعبير عن إحياء الله الأرض الميتة[(٢)] بأسلوب خبري مرسل في قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٤]، كما ورد بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ١٦٤]، وقال: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الجاثية: ٥]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [النحل: ٦٥].

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٤/ ٣٠٢)، باختصار وتصرف.

(٢) كما ورد قوله: ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ في سور: [البقرة: ٢٥٩]، و[الروم: ١٩]، و[فاطر: ٩]، [الحديد: ١٧]، وورد قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ في سورة [العنكبوت: ٦٣].

الأسلوب الثالث: التعبير عن إحياء الله الأرض الميتة بأسلوب الخبر المدلل بأمارة الواقع في قوله تعالىٰ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٣٣]، فإحياء الأرض بالنبات والشجر آية من آيات الله بدليل الواقع من إخراج الحبِّ المحصود منها، أو بدليل مشاهدة الخارج من رزع الأرض.

الأسلوب الرابع: التعبير عن إحياء الله الأرض الميتة بأسلوب إنشائي هو الأمر بالعلم في قوله تعالىٰ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الحديد: ١٧]؛ لوجوب الإحاطة والإلمام به، كما ورد باستفهام إنكاري في قوله: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٤٠]، ومن التعبير عن إحياء الله الأرض بأسلوب الاستفهام التقريري في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٣] فقد (أشار قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ إلىٰ موت الأرض، أي: موت نباتها بإمساك المطر عنها في فصول الجفاف، أو في سنيِّ الجدب؛ لأنه قابله بكون إنزال المطر لإرادته إحياء الأرض بقوله: ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾[(١)]، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [الروم: ٥٠] ويدل ارتباط رحمة الله -تعالىٰ- بإحياء الأرض علىٰ تحقيق عناية الله بتيسير أقوات العباد بما يخرج من الأرض؛ لأن إحياء الأرض بالنبات من آثار رحمة الله، والأرض الميتة التي لم تزرع أو لم يجْرِ عليها ملك أحد، فلابد من مباشرة الأسباب، ففي السنة النبوية: «**مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ، وَلَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٍ حَقٌّ**»[(٢)]، ذلك تشبيه إحياء الأرض بإحياء الميت حيث عبر بـ(إحياء

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢١/ ص: ٢٩).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» كتاب المزارعة باب من أحيا أرضًا مَوَاتًا، رقم: (٢٣٣٥)، عن

الأرض) عن عمارتها لأن إحياء الأرض: مباشرتها بالرعاية والزرع والإحاطة والعمارة، ونحوه.

ثانيًا: تنوع أساليب التعبير عن (إحياء البلد الميت)، فيما يلي:

الأسلوب الأول: التعبير عن إحياء الله البلدة الميتة بأسلوب الخبر المعلَّل، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ۝٤٨ لِّنُحْيِۦَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٤٨-٤٩]، **(البَلْدَة المَيْت)** التي أصابها الموت بفعل الجدب والقحط؛ لأن إنزال الماء من السماء لإحياء بلدة ميتة، ولسقي أنعام وأناسي كثيرًا.

الأسلوب الثاني: التعبير عن إحياء الله البلدة الميْتة بأسلوب خبري مرسل، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق: ١١] والضمير في (بِهِ) يعود للماء المبارك، وهو الغيث النازل من السماء، قال الرازي: (كذلك بدن الإنسان بعد الموت ينمو ويزيد بأن يرجع الله تعالىٰ إليه قوة النشوء والنماء كما يعيدها إلىٰ الأشجار بواسطة ماء السماء)(١)، وقوله تعالىٰ: ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف: ١١] أي: منحها الحياة والنشور، والبلد: (كل موضع من الأرض غامر أو عامر، مسكون أو خال فهو بلد، والقطعة منه بلدة)(٢)، هذا

= عائشة مرفوعًا، وأبوداود في «سننه» كتاب الخراج والفيء، باب في إحياء الموات رقم: (٢٠٧٣) من حديث سعيد بن زيد، واللفظ له، بإسناد صحيح، وأحمد في «مسنده» من حديث جابر بن عبدالله، رقم: (١٤٢٧١).

(١) ينظر: التفسير الكبير، للرازي (٢٨/ ١٢٩).

(٢) الكليات، للكفوي، (ص: ٢٢٦).

الأسلوب دال علىٰ إحياء سائر البلاد، وتهيئتها لحياة العباد، دفعًا لليأس، وتحقيقًا للإيمان بقدرة الله.

وبناء علىٰ التفرقة بين الميِّت والميْت ندرك حكمة قوله: ﴿بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ﴾ في هذه المواضع الثلاثة[(١)]، مفعول به للفعل المذكور (**فَأَنْشَرْنَا وَأَحْيَيْنَا ونُحْيِيَ**) لأن إحياء البلدة الميْتة والأرض الميْتة يردفان بذكر النشر والإحياء مرة أخرىٰ تذكيرًا بعقيدة البعث؛ لأن الميِّت –بتشديد الياء– مخلوق حي ما زال يعيش حياته، وينتظر أجله، فسيموت، ويلاحظ هذا المعنىٰ واضحًا في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] فالآية تخاطب الرسول ﷺ، وتخبره بأنه سيموت، وأن خصومه سيموتون كذلك، لكن النبي وقت الخطاب كان حيًّا وكذا خصومه، وأما الميْت –بتسكين الياء– فهو المخلوق الذي مات فعلًا وخرجت روحه، وأطلق القرآن هذا اللفظ علىٰ الأرض الميتة ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا﴾ [يس:٣٣] وقال: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ [المائدة:٣] قال الراغب: (وَالمَيْتةُ من الحَيوان: ما زال روحه بغير تذكية)[(٢)]، يعد من

(١) ورد قوله: ﴿بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا﴾ في سور: [الفرقان: ٤٩]، [الزخرف: ١١]، [ق: ١١] وورد قوله: ﴿بَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾ [فاطر: ٩].

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن للراغب (ص٧٨٢)، كما أطلق القرآن (الميِّت) علىٰ الكافر الذي نزع منه الإيمان، قال العلامة الشنقيطي في تفسير قوله: ﴿وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٣٦]: «وأطبقَ العلماءُ علىٰ أن المرادَ بالموتىٰ هنا: الكفارُ لا يَكَادُ يختلفُ في هذا اثنانِ من علماءِ التفسيرِ، كأنه يقولُ: إنما يستجيبُ الأحياءُ الذين يسمعونَ، كما قال له: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا﴾ [يس:٧٠]، أي: الذي له حياةٌ، أما المَيْتُ: الذي أَمَاتَ اللهُ قَلْبَهُ، وكثيرًا ما يُطْلِقُ القرآن اسمَ (الميتِ) علىٰ (الكفرِ)، كقولِه تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنعام: ١٢٢]». ينظر: العَذْب النَّمير من مجالس الشَّنْقيطِيِّ في التفسير لمحمد الشنقيطي، (١/ ١٩٧).

إعجاز القرآن تنبيهًا على أنه لا توجد كلمتان في القرآن بمعنىً واحد، بل لا بدَّ من فروق دقيقة بينهما؛ لبيان فائدة للناس من وجه من الوجوه.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩]، فقوله: **(بَلَدٖ مَّيِّتٖ)** مجرور بـ(إلىٰ) حرف التعدية للفعل **(سُقْنَاهُ)**، وضمير الغَيبة يرجع للسحاب؛ لإمكانية ظهور مظاهر الحياة بإخراج النبات والزرع والثمر، و**(بَلَدٖ مَّيِّتٖ)**، أي: قابل للموت حيث يحييه الله بقدرته بإرسال الماء إليه، فتنبت الأرض، ويزهر الشجر، وينضج الثمر، فتستقيم حياة البلاد، وسواء وصفت البلدة بالوصف (ميِّت) أو (ميْت) فدلالته لا تخلو إما علىٰ إمكانية بعث معدوم فاقد الحياة، أو تذكير لموجود بأن الحياة منتهية بفناء الموت لا محالة.

ثالثًا: ارتباط الفعل (أحيا) بأفعال الخلق والإيجاد الصريحة **(خَلَقَ فَسَوَّىٰ)** إشارة إلىٰ خلق الإنسان، في قوله: ﴿أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣٩ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡۦِيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [القيامة: ٣٧- ٤٠]، والاستفهام إنكاري؛ ليبرهن بها علىٰ قدرة الله -تعالىٰ- علىٰ الخلق من عدم محض، كما يدل علىٰ ارتباطه بالبعث والإيجاد بعد الموت، لارتباط إحياء الميت ببداية الخلْقِ من عدم؛ لأن الإشارة إلىٰ ثبوتَ إحياء الله للموتىٰ مرتبط بمقدمة أُولَىٰ هي الاعتراف بأن الله خالق الخلق من البداية، فذكَرَ القرآن تلك النتيجة كأمر يلي الخلق من عدم.

رابعًا: ارتباط الفعل (أحيىٰ) بلازمة قرآنية هي (كُنْ فَيَكُونُ)، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُحۡۦِ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [غافر: ٦٨]،

فلما كان هذا الموضع لا يتعلق بمعجزة في الخلق[(١)]، فلما ذكر انتقال الإنسان من كونه ترابًا إلىٰ نطفة، ثم علقة، ثم طفلًا، ثم بلوغ الأشد، ثم الشيخوخة، وقد استُدِل بهذه التغيرات علىٰ وجود الإله القادر قال بعده: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ﴾ يعني كما أن الانتقال من صفة إلىٰ صفة أخرىٰ من الصفات التي تقدم ذكرها يدل علىٰ قدرة الله تعالىٰ في تصريف عباده، كذلك الانتقال من الحياة إلىٰ الموت وبالعكس يدل علىٰ الإله القادر، وقوله: ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ فإنه يدل علىٰ وجوه، منها: الأول: عبر عن نفاذ قدرته في الكائنات والمحدثات من غير معارض ولا مدافع إذا قال: (**كُنْ فَيَكُونُ**). الثاني: أنه عبر عن الإحياء والإماتة بقوله: (**كن فيكون**)، فكأنه قيل: الانتقال من تراب لنطفة لعلقة لمضغة علىٰ التدريج، وأما صيرورة الحياة فإنما تحصل وتحدث دفعة واحدة؛ لتعليق جوهر الروح به، لهذا عبر عنه بقوله: (**كُنْ فَيَكُونُ**). الثالث: فلا بد من الاعتراف بأول إنسان هو أول الناس -وهو آدم عليه السلام- تناسل منه الذرية، عبَّر عنه بقوله: (**كُنْ فَيَكُونُ**)[(٢)].

خامسًا: ارتباط الفعل (أحيىٰ) بالفعل (أنشأ) للإشارة إلىٰ الإنشاء أول مرة لإثبات البعث [(٣)] بعد الموت، وهو عقيدة سمعية ثابتة سمعًا؛ لذلك كان استدلال

---

(١) لعدم اقتران هذا الموضع بمعجزة كما وردت في خلق آدم وعيسىٰ عليهما السلام.

(٢) التفسير الكبير، للرازي (٢٧/ ٥٣١-٥٣٢) بتصرف، وينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٤/ ١٩٩-٢٠٠).

(٣) البعث: الإثارة والإيقاظ من النوم ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢]، وإيجاد الأعيان والأجناس والأنواع يختص به الباري، والإحياء والنشر من القبور، ومن أسماء الله تعالىٰ «الباعث» وهو الذي يبعث الخلق أي: يحييهم بعد الموت يوم القيامة. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (١/ ١٣٨)، وينظر: الصحاح تاج اللغة للجوهري (٣/ ٩٧٦)، والكليات، للكفوي (ص: ٢٤٤).

القرآن لمن أنكر إحياء الموتىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩]، كما ارتبط بقدرة الله في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩]، وفي السنة ما يؤكد ذلك؛ ففي حديث أَبِي رَزِينٍ الْعُقَيْلِيِّ، قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يُحْيِي اللهُ الْـمَوْتَىٰ؟ وَمَا آيَةُ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ؟ قال: «**أَمَا مَرَرْتَ بِوَادِي أَهْلِكَ مَـحْلًا؟**»(١) قال: بَلَىٰ، قال: «**أَمَا مَرَرْتَ بِهِ يَهْتَزُّ خَضِرًا؟**» قال: قُلْتُ: بَلَىٰ، قال: «**ثُمَّ مَرَرْتَ بِهِ مَـحْلًا؟**»، قال: بَلَىٰ، قال: «**فَكَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْـمَوْتَىٰ وَذَلِكَ آيَتُهُ فِي خَلْقِهِ**»(٢) فالوادي المَحْل كالأرض والبلدة المَيْتة، ثم هو خَضِرٌ مثلها كذلك يحيي الله الموتىٰ.

سادسًا: اقترن الفعل (يُحيي) مع الفعل (يميت) في القرآن؛ لأن كلًّا من الإحياء والإماتة بيد الله تعالىٰ لا بيد أحد سواه، ففي مناظرة الخليل إبراهيم للنمرود، قال تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]؛ لذلك لما شغَّب النمرود في إحياء الله الموتىٰ -وهو أمر بدهي مترتب علىٰ خلق الله تعالىٰ الخلق من عدم أولًا- انتقل إبراهيم إلىٰ دليل آخر أكثر ظهورًا بالمشاهدة، وهو أن الله يأتي بالشمس من المشرق فليأت بها من المغرب، فبهت الكافر وانخرس.

كما تبين في القرآن إمكانية الاستدلال علىٰ إحياء الله الموتىٰ من خلال هذا السؤال المفصلي (كيف يحيي الله الموتىٰ؟) للدلالة علىٰ قدرة الله علىٰ إحياء

---

(١) قوله: (مَحْلًا) أي: جدبًا، والمَحْل في الأصل: انقطاع المطر. ينظر: النهاية، لابن الأثير، (٤/ ٣٠٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، رقم: (١٦١٩٢)، (٢٦/ ١١١-١١٢)، وإسناده ضعيف لجهالة حال وَكِيعِ بْنِ حُدُسٍ/ عُدُسٍ ابن أخي أبي رزين، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، رقم: (١٠٦٩)، (٢/ ٤٨٥).

الموتىٰ، فقد سجَّله القرآن سؤالًا للخليل، فقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وسؤال إبراهيم عن إيمان بتلك العقيدة، فقال: ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء: ٨١]، لذلك وجَّه في مناظرته النمرود من قبل، فقال: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، قال الراغب: (كان يطلب أن يريه الحياة الأخروية المعرَّاة عن شوائب الآفات الدنيوية)(١)، فهو مقرٌّ بإحياء الله للموتىٰ.

كما سجَّل القرآن لعُزَير النبي هذا السؤال المفصلي في قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، هذا (استفهام إنكار واستبعاد)(٢)، وهو سؤال عقدي متعلق بفعل الإحياء، والسائل (الذي مرَّ علىٰ قرية، قيل: هو أرميا بن حلقيا، وقيل: هو عُزير بن شرخيا -عِزرا بن سريا-، والقرية بيت المقدس في أكثر الأقوال)(٣)، وأكثر المفسرين علىٰ أنه عُزير وهو مؤمن، والسؤال عن إحياء الأرض الميتة الجدباء القاحلة الخاوية من البشر، قال الخطيب الشربيني(٤): (أي: بما صارت إليه من الخراب وذهاب الأهل،

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب، (ص: ٢٦٩).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٣/ ٣٦).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣/ ٣٥).

(٤) الشربيني: (ت: ٩٧٧هـ) هو: محمد بن محمد بن أحمد الشربيني القاهري الشافعي الخطيب، فقيه ومفسر، درَّس وأفتىٰ في حياة أشياخه، وانتفع به خلائق لا يُحْصَون، وأجمع أهل مصر علىٰ صلاحه، ووصفوه بالعلم والعمل والزهد والورع، شرح كتاب «المنهاج» و«التنبيه»، وأقبل الناس علىٰ قراءتهما وكتابتهما في حياته، كان يعتكف رمضان كله ويخرج في العيد. ينظر: شذرات الذهب، لابن العماد، (١٠/ ٥٦١-٥٦٢)، والأعلام، للزركلي (٦/ ٦)، ومعجم المؤلفين، لكحالة، (٣/ ٦٩).

فيعيدها إلىٰ ما كانت عليه عامرة آهلة، وهذا اعتراف بالعجز من معرفة طريق الإحياء، واستعظام لقدرة المحيي إن كان القائل مؤمنًا، واستبعاد إن كان كافرًا، فلم يشك أنَّ الله يحييها ولكن قالها تعجبًا)[١].

فمن الواضح أنه سؤال مقرٍّ مصدِّق بقدرة الله تعالىٰ علىٰ الإحياء، أفاد ابن عاشور أن قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ مما زاده القرآن من البيان علىٰ ما في كتب اليهود؛ لأنهم كتبوها بعد مرور أزمنة، ويظن من هنا أن عُزَيرَ مات في حدود سنة (٥٦٠ ق.م)، وكان تجديد أورشليم في حدود (٤٥٨ ق.م) فتلك مائة سنة، ويكون قوله: ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ تذكرة له بتلك النبوءة وهي تجديد مدينة إسرائيل[٢].

كما سجَّل القرآن هذا السؤال المفصلي لرجل جاحد عند رسول الله في قوله: ﴿قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨] روي: «أن أُبَيَّ بنَ خلَفٍ الجُمَحِي -وهو الذي قتله النبي ﷺ بأُحد مبارزةً-، أتىٰ النبي ﷺ بعظم بالٍ يفتته بيده فقال: أترىٰ الله يحيي هذا بعدما رُمَّ؟ فقال ﷺ: «**نعم، ويبعثك ويدخلك النار**» فنزلت[٣]، فلما كان الإيجاد من عدم ثابت لله بلا منازع ثبت كذلك قدرة الله علىٰ إعادة الحياة لمن شاء متىٰ شاء؛ لذلك كان الجواب علىٰ سؤال ابن خلف في قوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩]، وهذا يدل علىٰ إمكانية بعث الأجساد بعد الموت، فالإقرار والتصديق بأن الله تعالىٰ قادر علىٰ الإحياء يؤدي للإقرار بقدرته

(١) ينظر: السراج المنير، الخطيب الشربيني، (١/ ١٧٢).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٣/ ٣٦).

(٣) السراج المنير، للخطيب الشربيني، (٣/ ٣٦٥).

علىٰ بعث العباد بعد الموت، وهذا السؤال الثالث صدر من منكر جاحد للبعث.

لذلك بعدما بين القرآن قدرة الله علىٰ الخلق في سورة القيامة إذا بالسورة تُختم باستفهام قرآني دالٍّ لكل ذي عقل نابهٍ، وقلب متعظ في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٤٠]، فإن الاستفهام إنكاري، و(المنكرون للحشر منهم من لم يذكر فيه دليلًا، ولا شبهة بل اكتفىٰ بمجرد الاستبعاد، وهم الأكثرون ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ [السجدة: ١٠]، وقال: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٢])(١).

سابعًا: ارتباط الفعل (أحيىٰ) بضرورة النظر حيث دعا القرآن الإنسان للنظر في آثار رحمة الله تعالىٰ علىٰ خلقه بإحياء الأرض بما يخرج منها، وذلك في قوله: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠]، والأمر بالنظر تشريع محكم للمكلَّف عليه قيام قواعد الإيمان، وتبدو آثار رحمة الله في توفير طعام بني آدم وغذائهم مما يخرج من الأرض من زرع وشجر، كما أنه دليل عناية الخالق بخلقه، وقدرته علىٰ الخلق والإبداع؛ لظهور قدرة الله الباهرة علىٰ شق الأرض بالنبات الغض الطري، في قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

ثامنًا: الاستدلال علىٰ عقائد فرعية أخرىٰ منها:

١- الاستدلال علىٰ إمكانية بعث العباد بعد الممات بـ(إحياء الأرض الميتة) و(إحياء البلدة الميتة)؛ لأن إحياء الأرض والبلاد دليل مشاهد يدل علىٰ بعث العباد

(١) المرجع السابق، (٣/ ٣٦٦).

بعد الممات؛ لذا قال تعالىٰ: ﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٩]، أي: تخرجون من قبوركم للبعث، وقال: ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩]، (الكافُ في حيِّزِ الرفعِ علىٰ الخبرية أي: مثلَ ذلك الإحياءِ الذي تشاهدونَه إحياءُ الأمواتِ)(١)، ومَن خلق وسائل إحياء الأرض قادر علىٰ خلق وسائل إحياء الذين ضمتهم الأرض علىٰ سبيل الإدماج(٢)، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ [فصلت: ٣٩]، وأكد إحياء الأرض بإن واللام؛ لذلك كان الإحياء من دلائل قدرة الله؛ لذلك قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] أي: أهون عليه في مقاييسكم أنتم والله قادر مقتدر، فلما كان مقياس العقل البشري يختلف في صعوبة بداية الخلق من عدمٍ نصَّ علىٰ إعادته بعد وجودٍ.

٢- إثبات عقيدة النشر؛ لأن دلالة فعل الإحياء علىٰ عقيدة البعث والنشور في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩]، وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف: ١١]، وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ في قوله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٩]، مثال يبين مشابهة بعث الله للعباد بإحياء البلد الميت بخلوِّه من الحياة والأحياء فلا زرع أو شجر.

٣- تعبير القرآن عن الإيمان بالحياة، وعن الكفر بالموت، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وربما يكون هذا المعنىٰ مجازيًّا، والهمزة للاستفهام المستعمل في إنكار تماثل الحالتين(٣)، وهذا مثَلٌ ضرَبَه الله تعالىٰ للمؤمن الذي

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود العمادي، (٧/ ١٤٥).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٢/ ٢٦٧).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٨/ ٤٣).

كان ميتًا -أي: في الضلالة- هالكًا حائرًا، فأحياه الله، أي: أحيا قلبه بالإيمان، وهداه له ووفقه لاتباع رسله ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ أي: يهتدي كيف يسلك وكيف يتصرف به، والنور هو القرآن، أو هو الإسلام، والكل صحيح: ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي: الجهالات والأهواء والضلالات المتفرقة، ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ أي: لا يهتدي إلىٰ منقذ ولا مخلص مما هو فيه[1]؛ لذلك اعتبر القرآن العبدَ المنتفعَ بالإنذار هو العبد الخليق بوصف الحياة في قوله تعالىٰ: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠]، فمن معاني الإحياء الشرعية التعبير بالحياة عن الإيمان والهداية والفكر المستقيم، والتعبير بالموت عن الكفر والضلال.

وفي السنة النبوية تعبير بالفعل (أحيا) لبيان إحياء أوامر الله في قوله: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ**»[2]، فإحياء أمر الله بالعلم والعمل به إحياء للدين، وتركه إماتة له. قال الشاعر:

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيًّا ولكن لا حياة لمن تنادي[3]

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ت: ٧٧٤ هـ)، (٣/ ٢٩٦)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود، (١/ ٧٧).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» كتاب الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنا، رقم: (١٧٠٠) واللفظ له، وأحمد في «مسنده»، رقم: (١٨٥٢٥)، كلاهما من حديث البراء بن عازب.

(٣) ينظر: المفردات، للراغب، (ص: ٢٦٨-٢٦٩) والبيت لكثير عزة من قصيدة رثاء خندق الأسدي ينظر: ديوانه (ص:٢٢٣).

المطلب الثالث:

معاني الفعل (أنبت) ودلالته

◆ أولًا: معاني الفعل (أنبت) في اللغة:

أفاد علماء اللغة أن الفعل (**نبت**) و(**أنبت**) بمعنىٰ، والنَّبْتُ: النبات، وكل ما أنبت الله في الأرض فهو نبْت، والنبات فعله ويجري مجرىٰ اسمه، يقال: أنبت الله النبات إنباتًا؛ قال الفرَّاءُ: إن النبات اسم يقوم مقام المصدر، ونبت الشيء ينبت نبْتًا ونبَاتا وتنبَّت، والـمَنْبَتُ: الأصل، والموضع الذي ينبت الشيء فيه، واختار بعضهم أنبت بمعنىٰ نبت، وأنكره الأصمعي وأجازه أبو عبيدة، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، قرئت (**تُنبِتُ**)، و(**تَنْبُتُ**)[(١)]، قال الفراء: هما لغتان؛ نَبَتَتْ الأرض وأَنْبَتَتْ، وقال ابن سِيدَه: أمَّا تُنْبِتُ فذهب كثير من الناس إلىٰ أن معناه تُنْبِتُ الدُّهْنَ أي: شجر الدهن، أو حب الدهن، وأن الباء زائدة، ونبت وأنبتت مثل قولهم: مَطَرَت السماءِ وأَمْطَرَت[(٢)]. إذًا يحمل فعل الإنبات معاني ما يلي: **أولاً**: الإخراج من الأرض. **ثانيًا**: التنمية والتغذية.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو البصري ورويس: (تُنْبِتُ) بضمِّ التاء وكسر الباء، وقرأ الباقون بفتح التاء وضم الباء: (تَنْبُتُ). ينظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة للشيخ عبد الفتاح القاضي، الناشر: الأزهر الشريف، قطاع المعاهد الأزهرية، سنة (٢٠٠٥)، (ص: ٢٦٥).

(٢) ينظر مادة (نبت) في: (العين)، للخليل بن أحمد (٨/ ١٢٩- ١٣٠)، وتاج اللغة، للجوهري (١/ ٢٦٨)، والمفردات، للراغب (ص: ٧٨٧)، ولسان العرب لابن منظور، (٢/ ٩٥- ٩٦).

ثانيًا: دلالات الفعل (أنبت):

من دلالات الفعل (أنبت) علىٰ الخلق والإيجاد ما يلي:

أولًا: يدل الفعل (نبت) و(أنبت) علىٰ التحدي والإعجاز للبشر، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠]، حيث عطف أنبت علىٰ أنزل بفاء التعقيب والتفريع، ويبدو ذلك من خلال ما يلي:

١- أسند فعل الإنبات إلىٰ الله تعالىٰ بنون العظمة في قوله: ﴿فَأَنۢبَتْنَا﴾ أي: نحن الفاعِلِين، كما أن (نون الجمع في ﴿فَأَنۢبَتْنَا﴾ التفات من الغَيبة إلىٰ الحضور)[(١)]، والغَيبة التي بالفعل (**خَلَقَ، وأَنْزَلَ**) أي: هو وحده القادر علىٰ الخلق وإنزال الغيث دون سواه، بدليل المشاهدة الحاضرة حسًّا، ثم أثبت فعل الإنبات له سبحانه بضمير الحضور؛ لتأكيد أثر فعل الإنبات منه سبحانه، فـ(رجع من لفظ الغَيبة في قوله: (**خَلَقَ وَأَنْزَلَ**) إلىٰ التكلم في قوله: ﴿فَأَنۢبَتْنَا﴾ ثم قال: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾؛ لأن الإنسان قد تَعرض له شبهة أن مُنبِت الشجرة هو الإنسان فإنه يقول: أنا الذي ألقي البذر في الأرض الحرة، وأَسعَىٰ فِي سقيها بالماء وحرثها وفاعل السبب فاعل للمسبَّب)[(٢)]؛ ولأن الزارع له أسبابه فلا يركنن إليها، وفيه استحالة قدرة البشر علىٰ إنبات شجر؛ للكون المنفي.

٢- مهما كانت شُبهة الأسباب فإن أفعال خَلْق السماء والأرض، وإنزال الماء؛ لإنبات حدائق بهيجة كلها فعل الله تعالىٰ وخلقه وإنباته، شاهدة بأنه فاعل كل ذلك؛

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٠/ ص: ١١).

(٢) ينظر: التفسير الكبير، للرازي (٢٤/ ٥٦٣).

لذا قال بعدها: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾؛ للدلالة على أن الله هو فاعل مطلق لما أراد، غالب على أمره، فالأمر أمره والتدبير تدبيره.

٣- إذًا نفي فعل إنبات الشجر عن كل إنسان مخاطب عاقل في البشرية فقال: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾؛ لدلالة التحدي والإعجاز، ولبيان تأكيد انتفاء شيء من ذلك عن البشر، فالكون المنفي بعده لام الجحود الملحقة بعد كان المنفية يدل على تمام الانتفاء؛ ويدل على أن فعل الإنبات عن غير الله تعالى في حيز الاستحالة والامتناع، وهذا أسلوب منتشر مشتهر في القرآن المجيد؛ لذلك قال: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٤]، على سبيل التقرير والتسليم أن الله فاعل ذلك دون سواه.

ثانيًا: اقتران فعل الإنبات بـ(**سُنَّة الزوجية**)؛ وهي سنة من سنن الله تعالى الكونية، حيث تدل على إنبات يتعلق بزوج أنثى، وآخر ذكَر في كل نبات وشجر، وفي سائر خلق الله للبشر، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦]، فكلمة (سبحان) دالة على تنزيه الله عن كل نقص، وإقرار بأنه تعالى خالق الأزواج كلها وفق سنة الزوجية، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]، وقوله: ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [ق: ٧]، وقوله: ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [لقمان: ١٠]، دلالة على صلة الفعل (أنبت) بالناميات من الزرع والشجر، وتوقفها على سنة الزوجية، ولما كان تكاثر الأزواج سنة الله فيما يخرج من الأرض قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٧]، دلالة على كثرة الخارج من الأرض بالإنبات، فحرف (**كَمْ**) أداة دالة على التكثير، ويشهد له كذلك قوله: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ

﴿أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [طه: ٥٣]، فكلمة (شَتَّىٰ) أي: متكاثرًا، وهذا موضع امتنان الله علىٰ خلقه وعباده.

ثالثًا: دلالة عامة مستمدة من الفعل (نبت) حيث تدل علىٰ أن النبات ما يخرج من الأرض من الناميات(١) سواء كان له ساق كالشجر، أو لم يكن له ساق كالزرع، والنجم(٢)، لكن اختص في التعارف بما لا ساق له، بل قد اختص عند العامة بما يأكله الحيوان، ومتىٰ اعتبرت الحقائق فإن مصطلح (النبات) يستعمل في كل نامٍ زرعًا كان أو شجرًا، والإنبات يستعمل في ذلك، قال تعالىٰ: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ﴾ [النحل: ١١]، وقال: ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾ [النبأ: ١٥-١٦].

رابعًا: ورد فعل الإنبات لإظهار المنة الربانية علىٰ خلقه بإخراج النبات والزرع، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ [البقرة: ٦١]، فأسند فعل الإنبات إلىٰ تلك الأنواع من الزروع والنباتات، وهي واردة علىٰ سبيل إظهار المنة علىٰ بني إسرائيل، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٢٧- ٣١]، فهذا تعديد

(١) الناميات: كل ما ينمو طبيعيًّا عن طريق العناية والتغذية من نبات وحيوان وإنسان، فيدخل الإنسان ضمن الناميات في وجه تشابه هو (النمو)، وهذا إطلاق عام من مفهوم (العالم)، فيقال: عالم النبات نامٍ، وعالم الحشرات نامٍ وعالم الحيوان نامٍ.. إلخ، فيدخل ضمنه البشر، وهذه كلها يشملها كلمة (العَالَم)؛ لأنها محدثة لها محدث، هو الله تعالىٰ خلقها جميعًا من العدم. ينظر: (المفردات)، للراغب، (ص: ٧٨٧).

(٢) النجم يطلق علىٰ شيئين: الأول: الزرع الصغير النابت في الأرض، والثاني: الجسم المضيء في السماء. (الباحث).

لأنواع الخارج من الأرض النافع للإنسان والحيوان، واتضحت علاقة السببية بين فعل الإنبات والماء، قال الخطيب الشربيني ﷺ: (هذا السياق لمطلق إخراج الزرع، وأول إصلاحه إنما هو لأكل الأنعام ولا يصلح للإنسان، وذكر من طعامه من العنب وغيره ما لا يصلح للأنعام فقدمه)(١)، وهذا موضع امتنان، وتعداد لنعم الرحمن تعالىٰ علىٰ الإنسان حتىٰ ينتهي عن الجحود والطغيان. ومنه قوله: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ﴾ [النحل: ١١]، وفي الفعل (ينبت) قراءتان: بالياء، و(ننبت) بنون التعظيم(٢)، ومنه وقوله: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وقوله: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ﴾ [ق:٩]، أي: المحصود.

خامسًا: ورد فعل الإنبات لإظهار المنة الربانية علىٰ خلقه بإخراج الشجر مما له ساق وجذر من الشجر، للدلالة علىٰ خصوص إنبات الشجر ذي الساق والجذر، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١١]، فإن (هذا الإنبات من دلائل عظيم القدرة الربانية، فالغرض منه الاستدلال ممزوجًا بالتذكير بالنعمة، وأسند الإنبات إلىٰ الله لأنه الملهم لأسبابه، والخالق لأصوله تنبيهًا للناس علىٰ دفع غرورهم بقدرة أنفسهم، ولذلك قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ لكثرة ما تحت ذلك من الدقائق)(٣)، وإن من موضع المنة أن الله أنبت للإنسان

(١) ينظر: السراج المنير، للشربيني، (٣/ ٢١٦).

(٢) قرأ شعبة: (ننبت) بالنون علىٰ التفخيم مكان التحتية، وقرأ الباقون: (ينبت) بالياء، ينظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة للشيخ عبد الفتاح القاضي، (ص: ٢١٧). قال الواحدي: والياء أشبه بما تقدم.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير،لابن عاشور، (١٤/ ١١٤- ١١٥).

غذاءه، حيث إن (الغذاء النباتي قسمان: حبوب وفواكه، أما الحبوب فإليها الإشارة بلفظ الزرع، وأما الفواكه فأشرفها الزيتون والنخيل والأعناب)[1]، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا﴾ [عبس: ٢٨- ٣٠].

كما ورد فعل الإنبات لإظهار المنة الربانية بإنبات أقوات الإنسان، وذلك في قوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ﴾ [الحجر: ١٩]، علىٰ سبيل الكناية؛ فالشيء الموزون كناية قرآنية عما يزرع ويحصد ويدرس من النباتات ذات الحب المحصود، وهذا من إسناد فعل الإنبات للمزروعات؛ لبيان وجه الإنعام علىٰ البشر التي تقتات أقواتها بأنواع مختلفة منها.

ومنه قوله: ﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾ [ق:٩، ١٠]، قال الإمام الرازي[2]: (قوله: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا﴾ استدلال بنفس النبات أي: الأشجار تنمو وتزيد، ﴿وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ﴾ فيه حذف تقديره: وحب الزرع الحصيد، وهو المحصود أي: أنشأنا جنات يقطف ثمارها وأصولُها باقية، وزرعًا يحصد كل سَنة، ويزرع في كل عام أو عامين، ويحتمل أن يقال التقدير: وننبت الحب الحصيد، والأول هو المختار، فهو جنس مختلط من الزرع والشجر فكأنه تعالىٰ خلق ما يقطف كل سنة ويزرع، وخلق ما لا يزرع كل سنة ويقطف مع

(١) ينظر: التفسير الكبير، للرازي، (١٩/ ١٨٠- ١٨١).

(٢) الرازي: (٥٤٤-٦٠٦هـ) هو: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي: إمام مفسر أوحد زمانه في المعقول والمنقول، وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له: ابن خطيب الري. ينظر: الأعلام، الزركلي (٦/ ٣١٣)، ومعجم المؤلفين، كحالة، (١١/ ٧٩).

بقاء أصلها، وخلق المركب من جنسين في الأثمار؛ لأن بعض الثمار فاكهة ولا قوت فيه، وأكثر الزرع قوت، والتمر فاكهة وقوت)[1]، فالجنات فيها شجر وزرع، ثم خص شجر النخل؛ لكثرة منافعه.

سادسًا: ورد فعل الإنبات في خصوص خلق الإنسان في موضعين، هما:

أولهما: عموم خلق ذرية آدم في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [نوح: ١٧]، حيث جاء المصدر فيه علىٰ غير وزن الفعل، وجاء نباتًا علىٰ لفظ نبت (في هذه الآية وجهان: أحدهما: معنىٰ قوله: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: أنبت أباكم من الأرض، والثاني: أنه تعالىٰ أنبت الكل من الأرض؛ لأنه تعالىٰ إنما يخلقنا من النطف وهي متولدة من الأغذية المتولدة من النبات المتولد من الأرض)[2]، والاحتمال الثاني أولىٰ بالقبول لكاف الخطاب، وهم ذرية آدم.

وهو ما رجَّحه الإمام الرازي، فقال: (وهذا الثاني أولىٰ لأن الإنبات صفة لله تعالىٰ، وصفة الله غير محسوسة لنا، فلا نعرف أن ذلك الإنبات إنبات عجيب كامل إلا بواسطة إخبار الله، وهذا المقام مقام الاستدلال علىٰ كمال قدرة الله تعالىٰ، فلا يمكن إدراكه بالسمع، فلما قال: أنبتكم نباتًا كان ذلك وصفًا للنبات بكونه عجيبًا كاملًا، وكون النبات كذلك أمرٌ مشاهد محسوس، فيمكن الاستدلال به علىٰ قدرة الله تعالىٰ)[3]، وقال الراغب: (قال النحويون: قوله: «**نَباتًا**» موضوع موضع الإنبات وهو مصدر، وقال غيرهم: قوله: «**نَباتًا**» حال لا مصدر، ونبَّه بذلك أن الإنسان هو

(١) ينظر: التفسير الكبير، للرازي، (٢٨/ ١٢٩).

(٢) ينظر: التفسير الكبير، للرازي، (٣٠/ ٦٥٤).

(٣) ينظر: التفسير الكبير، للرازي، (٣٠/ ٦٥٤- ٦٥٥).

مِن وجهٍ نبات حيث إن بدءه ونشأته من التراب، وأنه ينمو نموَّه، وإن كان له وصفٌ زائدٌ علىٰ النبات، وعلىٰ هذا نبَّه بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [غافر: ٦٧])[(١)]، قال الإمام القرطبي[(٢)]: (يعني آدم عليه السلام خلقه من أديم الأرض كلها، قاله ابن جريج، وقد مضىٰ في سورة الأنعام والبقرة بيان ذلك، وقال خالد بن معدان: خلق الإنسان من طين)[(٣)].

أقول: إن حمل آية سورة نوح علىٰ تشبيه الإنسان بالنبات أولىٰ من حمله علىٰ حقيقة الإنبات؛ لأنه وصف يحمل إشارة قرآنية إلىٰ ضرورة رعاية الوالدين بالولد تنشئةً وتربية وتعليمًا، مع وصف زائد في الاعتناء بعقل الناشيء ووجدانه، ووصف الإنسان بالإنبات علىٰ الحقيقة يكون بعد ميلاده وبلوغه؛ وفي السُّنة وصَف النبي أحد شباب أصحابه فقال: «**نُوَيْبِتَةٌ**» قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، نُوَيْبِتَةُ خَيرٍ أَمْ نُوَيْبِتَةُ شَرٍّ؟ قال: «**بَلْ نُوَيْبِتَةُ خَيرٍ**»[(٤)]، فالإنبات أمارة البلوغ، والنويبتة تصغير نابتة، أنبت

---

(١) ينظر: المفردات، للراغب، (ص: ٧٨٧).

(٢) القرطبي: (...-٦٧١هـ) هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين. صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلىٰ الشرق واستقر بمنية ابن خصيب في شمالي أسيوط، بمصر وتوفي فيها. ينظر: الأعلام، للزركلي (٥/ ٣٢٢)، ومعجم المؤلفين، لكحالة (٨/ ٢٣٩).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (ت: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة (١٩٦٤)، و(١٨/ ٣٠٥).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، رقم: (١٧٧٤٥) (٢٩/ ٢٨١)، وإسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير مسلم بن مشكم فقد روىٰ له أبو داود والنسائي وابن ماجة وهو ثقة، والطبراني في «الكبير» رقم: (٥٨٢)، وفي «الأوسط» (٦٧)، من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه.

الغلام: راهق واستبان شعر عانته، والنوابت: الأحداث الأغمار؛ لأن هذا الوصف يحمل معنىٰ النمو -وهو يطلق علىٰ سبيل الغلبة في الشيء بعد ميلاده وبلوغه-، ولأن الإنسان ككائن مستقل لا يشاهد حسًّا واقعًا بالفعل قبل الميلاد، إنما يكون كذلك بعد ميلاده، فليس ثمة امتهان لآدمية البشر، أو إهانة لكرامته الأصلية.

ثانيهما: خصوص السيدة مريم في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: ٣٧]، قال القرطبي: (يعني سوَّىٰ خلقها من غير زيادة ولا نقصان، فكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام واحد)[(١)]، أي: جعل نشأتها نشئًا حسنًا، وعلىٰ معنىٰ نبتت نباتًا حسنًا، والنابت من كل شيء الطري حين ينبت صغيرًا، ونبتت لهم نابتة إذا نشأ لهم نشء صغار.

سابعًا: علاقة فعل الإنبات بقانون السببية[(٢)]، مع ضرورة الإشارة إلىٰ أمرين لإنبات الزرع والشجر، هما: **أولهما:** الماء للري، فبالماء حياة كل كائن حي من إنسان وحيوان ونبات وشجر، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا﴾ [عبس: ٢٤، ٢٥] والأمر بالنظر بقوله: ﴿فَلۡيَنظُرِ﴾ يدل علىٰ تشريع النظر الواجب حيث كلف الله به الإنسان؛ لأن الماء آية مستقلة من آيات الله، فهذا موطن بحث في طبيعة تكوين الماء، وبيان أوجه ارتباط الحياة به، وأنها دعوة للنظر والاعتبار، والإيمان يوضِّح ذلك -أيضًا- قول الله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾ [الحج: ٥].

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٤/ ٦٩).

(٢) قانون السببية: علاقة التأثير والتأثر بين الأشياء سواء علىٰ سبيل الإيجاب والإثبات أو السلب والنفي، وفي الحقيقة الله فاعل لكل شيء، والعبد يباشر الأسباب لكنه لا يركن إليها.

ثانيهما: تراب الأرض بيئة إنبات الزرع والشجر، فهما ضرورة لحصول الإنبات، وإلىٰ كلا الأمرين الإشارة في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٢٦- ٣١]، لأن علاقة فعل الإنبات بالأرض الممهَّدة المهيَّأة لاستخراج النبات، حيث اقترن بها، وأخص صفات الأرض ترابها، وأما علاقة فعل الإنبات بالماء النازل من السماء فهي من علاقة السببية، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٩٩]؛ لأن الماء ضروري لنمو كل كائن حي، وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾ [النبأ: ١٤- ١٦].

تبدو علاقة السببية جلية واضحة بين إنزال الماء مع تهيئة الأرض وبين إنبات الزرع والشجر، وهو موطن اغترار البشر(١)، فلما كان فاعل الإنبات هو الله قال تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠]، وهذا التحدي واضح بإنبات الشجر؛ لذلك فإن العبد يزرع شجره ويتوكل علىٰ ربه في إخراج ثمره وحصاده، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٩٩]، وقال: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٨]، كما دعانا الله للنظر والاعتبار في هذا الخلق المعجب، فقال: ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩].

ثامنًا: علاقة فعل الإنبات بالفعل (أخرج)، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟

(١) كما اغتر صاحب الجنتين وذكر الله قصته في سورة الكهف.

﴿إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩] (خَضِرًا) بكسر الضاد: نوع من البقول ليس من جيدها، التي ينبتها الربيع بتوالي أمطاره فتحسن وتنعم، ولكنه من البقول التي ترعاها المواشي بعد هيج البقول ويبسها حيث لا تجد سواها، وتسميها العرب الجنبة، فلا ترىٰ الماشية تكثر من أكلها ولا تستمرئها(١)، وأما ﴿قِنۡوَانٞ﴾ فإن (القِنْوَ: العذق، وتثنيته: قِنْوَانِ، وجمعه قِنْوَانٌ)(٢)، و﴿دَانِيَةٞ﴾ أي: قريبة من القِطاف، و﴿مُتَشَٰبِهٖۗ﴾ أي: متماثل طعمًا أو لونًا أو شكلًا، والفعل ﴿وَيَنۡعِهِۦٓۚ﴾: نضجه، من (يَنَعَت الثمرةُ تَيْنَعُ يَنْعًا، وأَيْنَعَتْ إيناعًا فهي يَانِعَةٌ ومُونِعَةٌ، وهو المدرك البالغ)(٣)، أي: النضيخ، هذه من مواضع المنن الربانية علىٰ الإنسان.

إذًا يطلق الفعل (نبت) علىٰ كل ما ينمو نموًّا طبيعيًّا برعاية وتغذية من نبات وحيوان عاقلًا أو غير عاقل، ودلالته علىٰ نمو الإنسان والحيوان بعد الميلاد دلالة أغلبية؛ لأنه يدل علىٰ ما ينمو من ذاته، والجنين نموه مستمد من أمِّه، ونمو الإنسان علىٰ ما يخرج من الأرض من زرع وشجر أصلية فيه بعد خروجه للحياة بعد الميلاد؛ لذلك يطلق هذا الفعل علىٰ ذرية آدم؛ لأن آدم خلقه الله بيده ثم نفخ فيه من روحه، قال ابن عاشور: (والنبات: اسم لما ينبت، وهو اسم مصدر نبت، سمِّي به النابت علىٰ طريقة المجاز الذي صار حقيقة شائعة فصار النبات اسمًا مشتركًا مع المصدر)(٤)، بهذا يتبين عموم إطلاق النبات في القرآن، فلم يطلق علىٰ الإنسان إلا توسعًا من باب النماء والتغذية.

---

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (٤/ ٣٠٤).

(٢) مادة (قنو) في المفردات، للراغب، (ص: ٦٨٦).

(٣) مادة (ينع)، ينظر: المفردات، للراغب، (ص:٨٩٤).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٧/ ٣٩٨).

المطلب الرابع:
معاني الفعل (أخرج) ودلالته

◆ أولًا: معاني الفعل (أخرج) في اللغة:

أفاد علماء اللغة أن الفعل (أخرج) أصله (خرج): الخاء والراء والجيم أصلان، وقد يمكن الجمع بينهما، فالأول: النفاذ عن الشيء، والثاني: اختلاف لونين، فأمَّا الأصل الأول فقولنا: خَرَجَ يَخرُج خُروجًا فهو خارجٌ، والخروجُ: نقيضُ الدخولِ، وخَرَجَ خروجًا ومَخْرَجًا، وقد يكون المَخْرَجُ موضع الخروج، يقال: خرج مَخرجًا حسَنًا، وأمَّا المُخْرَجُ فقد يكون مصدرَ قولِك: أَخْرَجَهُ، والمفعولَ به، واسمَ المكان والوقتِ، والخُروجُ والخرج: السحاب أول ما يبدأ وينشأ، والخَرْجُ والخَراجُ: ما يُخرج من المال في السَّنة بقدرٍ معلوم، ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ [المؤمنون: ٧٢]، ومنه: ﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠]، وهذا مخرجه؛ لأن الفعل جاوز ثلاثة أحرف، فتضم ميمه؛ كدحرج، والاستخراج كالاستنباط.

وأما الأصل الآخر: فالخرج لونان بين سَوادٍ وبياضٍ، ويقال: ظليم أخرجُ، ونعامة خَرْجَاء، وأرض مُخَرَّجَة: ذات لونين، لكون النبات منها في مكان دون مكان[(١)]، وأفاد الراغب أن الفعل (خرج) يدل على (البروز من المقرِّ أو الحال، والإِخْرَاجُ أكثر ما يقال في الأعيان)[(٢)]، وفعْلُ الخلقِ إخراجٌ للمخلوق بعد تكوينه.

---

(١) ينظر مادة (خرج) في: (العين)، للخليل بن أحمد، (٤/ ١٥٨)، وتاج اللغة، للجوهري (١/ ٣٠٩-٣١٠)، ومقاييس اللغة، لابن فارس (٢/ ١٧٥)، والمفردات، للراغب (ص: ٢٧٨-٢٧٩).

(٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب، (ص: ٢٧٨).

إذًا معاني الفعل (أخرج) النفاذ والبروز، والإبراز والتجاوز، والانتقال من مكان إلىٰ مكان، أو التنقل من حال إلىٰ حال، ومحل الدراسة في الفعل الرباعي (أخرج).

◆ ثانيًا: دلالات الفعل (أخرج):

دلالة الفعل (أخرج) علىٰ الخلق والإيجاد:

أولًا: يفيد الفعل (أخرج) إظهار حال الإنسان عند خلقه، وبداية وجوده حينما يخرج من بطن أمه كصفحة بيضاء خالية من العلم، وفي ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨]، فحال الإنسان خلو تام من أيِّ علم ومعرفة، ﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ في موقع الحال أي: غير عالمين شيئًا أصلًا، وهذا يدل علىٰ سنة من سنن الله في خلق الإنسان، وهي سنة (الفطرة) النقية البيضاء التي لم يَشُبْها شائبة من شك أو كفر أو إنكار، حتىٰ يتعرف الإنسان علىٰ الحياة فيهديه الله إلىٰ أيِّ سبيلٍ يختاره من نفع وخير، أو شر وضر.

ثانيًا: علاقة الفعل (أخرج) بخلق النبات وإيجاده، إظهارًا للمنة الربانية، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ [الأنعام: ٩٩]، حيث عطف علىٰ إنزال الماء إخراج نبات كل شيء، كما عطف عليه إخراج الخضر منه، والفاء في قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ للتفريع، وقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ تفصيل لمضمون جملة ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾، كقوله تعالىٰ: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الأعراف: ٥٧]، فالله تعالىٰ يخرج نبات كل شيء من زرع وحب -محط الاقتيات-، ويخرج كذلك من كل الثمرات -محط التفكه والرفاه-؛ ليجمع بين القوت والفاكهة

في موطن الامتنان وإسداء النعم.

وفي التفسير: (قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ علىٰ طريقة الالتفات والباء للسببية، والضمير المجرور بالباء عائد علىٰ الماء أي: جعل الله الماء سببًا لخروج النبات، و(شَيْء) يراد به صنف من النبات بقرينة إضافة نبات إليه، والمعنىٰ: فأخرجنا بالماء ما ينبت من أصناف النبات، فالنبات: جنس له أنواع كثيرة، فمنه الزرع، مما له ساق لينة، ومنه الشجر مما له ساق غليظة، ومنه النجم مما ينبت لاصقًا بالتراب، وهذا التعميم يشير لاختلاف الصفات والثمرات والطبائع والخصوصيات والمذاق، وهي كلها نابتة من ماء السماء الذي هو واحد، وذلك آية علىٰ عظم القدرة، قال تعالىٰ: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ [الرعد: ٤]، وهو تنبيه للناس؛ ليعتبروا بدقائق ما أودعه الله فيها من مختلف القوىٰ التي سببت اختلاف أحوالها، و(مِنْ) ابتدائية أو تبعيضية، والضمير المجرور بها عائد إلىٰ النبات، أي: فكان من النبت خضر ونخل وجنات وشجر، وهذا تقسيم الجنس إلىٰ أنواعه، والخضر: الشيء الذي لونه أخضر، يقال: أخضر وخَضِر كما يقال: أعور وعَوِر، ويطلق الخَضِر اسمًا للنبت الرطب الذي ليس بشجر كالقضب، وجملة ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾ صفة لقوله: ﴿خَضِرًا﴾؛ لأنه صار اسمًا)[1].

ثالثًا: علاقة الفعل (أخرج) باعتبار أولي النُّهَىٰ، حيث ورد الفعل (أخرج) محط تذكرة أولي النهىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۝٥٣ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٣- ٥٤]، وقوله: ﴿لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ أي: (لذوي العقول، واحدها نهية، تنهىٰ عن المحظور، أو ينتهىٰ إليها في

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٧/ ٣٩٨-٣٩٩) باختصار يسير.

الأمور)[١]، و(قيل: لأنهم ينهون النفس عن القبائح)[٢]، وواضح أن حكمة تسمية (أولي النهىٰ)؛ لأنهم وفِّقوا إلىٰ فهم وتدبر مواضع منن الخالق، ودلائل الخلق، ويدل علىٰ ذلك قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ الآيات أي: علامات دالة لهم، منها: إثبات التوحيد، وإظهار المنن الربانية في نعمه وآلائه علىٰ العباد في سائر البلاد.

وسبق ذلك بآيات مشاهدة من إنزال ماء السماء، ثم قال: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ ضمير الغَيبة يعود إلىٰ الماء، نَقَل الكلام من الغَيبة إلىٰ لفظ المتكلم المطاع للافتنان، و﴿أَزْوَاجًا﴾ أصنافًا، و﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ أي: متفرق متنوع[٣]، ونبات مصدر سمي به النبات فاستوىٰ فيه الواحد والجمع، و﴿شَتَّىٰ﴾ صفة للأزواج أو للنبات، جمع شتيت كمريض ومرضىٰ، أي: إنها مختلفة النفع واللون والرائحة والشكل بعضها للناس وبعضها للبهائم)[٤]، وقوله: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ حال من الضمير في ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ والمعنىٰ: (أخرجنا أصناف النبات آذنين في الانتفاع بها مبيحين أن تأكلوا بعضها، وتعلفوا بعضها)[٥]، ففي تعديد الخارج من الأرض تعدُّد للمنة للمكلَّفين، وفي كون بعض الخارج للعاقل وبعضها للأنعام منة أخرىٰ للمكلفين بتمام قضاء المصالح.

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، (ت:٧١٠هـ)، (٢/ ٣٦٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١١/ ٢١٠).

(٣) شتَّ الشيء أي: تفرق، يقال أمرٌ شَتٌّ: متفرِّق، وشتَّ الأمر شتًّا وشَتاتًا: تفرَّق، واستشت مثله، والتشتُّت وشتته تشتيتًا، والشتيت: المتفرق، وقوم شتَّىٰ: أشتاتًا متفرقين، وأشياء شتىٰ: متفرقة. ينظر: تاج اللغة للجوهري (١/ ٢٥٤-٢٥٥).

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (٢/ ٣٦٨).

(٥) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (٢ / ٣٦٩)، وينظر: التفسير الكبير للرازي، (٢٢/ ٦١).

إذًا دلالة الفعل (أخرج) علىٰ تمام منة الله علىٰ عباده في أنْ خلقهم وخلق لهم النبات، فبعد أن ذكر جعل الأرض مهدًا، وسلك سبلها، وإنزال الماء، وإخراج النبات به، أشار إلىٰ أن هذه مواطن اعتبار أهل النهىٰ والعقول.

رابعًا: علاقة الفعل (أخرج) باعتبار أولي الألباب، حيث ورد الفعل (أخرج) محط ذكرىٰ أولي الألباب في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٢١]، فبعد أن ذكر إنزالَ الماء وسلكه ينابيع في الأرض، وإخراجَ زرعٍ به مختلف لونه، ثم يهيج حتىٰ يذبل ويصير يابسًا أشار إلىٰ أن هذه مواضع الاعتبار والعظة لأولي الألباب، أي: الذين يتذكرون بهذا فيعتبرون أن الدنيا تكون خضرة حلوة نضرة ثم تعود شوهاء، والشاب يعود شيخًا هرمًا كبيرًا ضعيفًا، وبعد ذلك كله الموت، فالسعيد من كان حاله بعده إلىٰ خير(١)، فهذا يدل علىٰ قدرة الله علىٰ البعث والمعاد.

خامسًا: علاقة الفعل (أخرج) بآيات الله للإنسان العاقل في قوله: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ [الفتح: ٢٩] قال الرازي: (وإنما جُعِلُوا كالزرع؛ لأنه أول ما يخرج يكون ضعيفًا، وله نمو إلىٰ حدِّ الكمال، فكذلك المؤمنون، والشَّطء الفرخ)(٢)، وقال ابن عاشور: (هذا يتضمن نماء الإيمان في قلوبهم، وبأنهم يدعون الناس إلىٰ الدين حتىٰ يكثر المؤمنون كما تنبت الحبَّة مائة سنبلة، وكما تنبت من النواة الشجرة العظيمة)(٣).

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٧/ ٨٣).

(٢) التفسير الكبير، للرازي، (٢٨/ ٨٩).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٢٠٨)، وأتىٰ بفقرات المشابهة من إنجيل متىٰ: [الإصحاح ١٣ فقرة ٣].

سادسًا: علاقة الفعل (أخرج) بالماء والمرعىٰ في قوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [النازعات: ٣١]، وفيه إشارة إلىٰ أن الماء يخرج من ينابيع الأرض كما ينزل غيثًا من السماء، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ [النازعات: ٣٠]، فالله هو من يسر سبيل الماء عيونًا وينابيع في الأرض؛ ليستخرج منها الماء، والمرعىٰ وهو الكلأ والعشب الأخضر، وفيه جمع بين الماء والمرعىٰ، أي: الشراب والطعام من باب التذكير بمواضع المنن، والتعرُّض لها بالشكر وذكر المنعم.

سابعًا: اقترن الفعل (أخرج) بالفعل (جعل) في قوله: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ۝ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ٤-٥]، أي: تغير حال الكلأ، ولونه لبيان الفضلات الخارجة من الكائن الحي(١)، (والْمَرْعَىٰ: النبت ترعاه السوائم، وأصله: مصدر ميمي أطلق علىٰ الشيء المُرعَىٰ؛ من إطلاق المصدر علىٰ المفعول، كالخلق بمعنىٰ المخلوق، أو اسم مكان للمرعىٰ، والغُثَاء: ويقال بتشديد المثلثة، هو: اليابس من النبت، والأَحْوَىٰ: الموصوف بالحُوَّة -بضم الحاء وتشديد الواو-، وهي من الألوان: سُمرة تقترب من السواد، وهو صفة غثاء؛ لأن الغثاء يابس فتصير خضرته حُوَّة)(٢)، وهذا موضع منَّة ربانية؛ لأن لازم أكل المرعىٰ إخراجه بعد قضمه وهضمه، فمن يسَّر إخراج العباد بخلْقِهم من عدم يسَّر كذلك سبيل (الإخراج) كحالة طبيعية للإنسان.

ثامنًا: علاقة الفعل (أخرج) بالعقائد، في أمور، منها ما يلي:

---

(١) وسيأتي مزيد بيان ذلك مع دراسة معاني الفعل (يعيد) ودلالته.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٣٠/ ٢٧٨).

اشتمال علم الله تعالىٰ علىٰ ما يتعلق بالساعة، وإخراج الثمرات، وحمل الأنثىٰ، في قوله تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فصلت:٤٧] وفي الآية دلالات:

أولًا: يدل علىٰ أمور عطف جملة ﴿وَمَا تَخْرُجُ﴾ وما بعدها توجيه لصرف العلم بوقت الساعة إلىٰ الله تعالىٰ بذكر نظائر لا يعلمها الناس، مع أنها أمور مشاهدة في الواقع، وهذا وجه الجمع بين تلك النظائر، وهي: (١) لا يعلم ميعاد الساعة وتفصيل أحوالها إلا الله تعالىٰ (٢) لا يعلم حمل الأنثىٰ من الناس والحيوان التي تلقح من التي لا تلقح إلا الله (٣) لا يعلم وقت وضع الأجنة؛ إلا الله تعالىٰ، فإن الإناث تكون حوامل مثقلة، بلا حول أو قوة، والله أعلم بها وما حملت(١).

ثانيًا: علم ما تخرجه أكمام النخيل من الثمر بقدره وجودته وثباته أو سقوطه، وضمير أكمامها راجع للثمرات، والأكمام: جمع كِمٍّ بكسر الكاف وتشديد الميم، وهو وعاء الثمر وهو الجف الذي يخرج من النخلة محتويًا علىٰ طلع الثمر.

ثالثًا: يدل عموم التأنيث في قوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ﴾ علىٰ عموم علمه بالعاقل وغير العاقل، كما تشير الآية إلىٰ أن علم الساعة وعلم الله بحمل الأنثىٰ ووضعها كلاهما من الغيبيات الخمسة التي لا يعلمها إلا الله، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِۖ﴾ [لقمان: ٣٤]، والآية الكريمة في جملة سياقها يدل علىٰ عموم علم الله تعالىٰ، وإحاطته بكل أمر كلي كان أو جزئي، خلافًا للفلاسفة القائلين بأن الله يعلم الأمور الكلية دون التفاصيل الجزئية.

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٥/ ص: ٥-٦).

ومن دلالة الفعل (أخرج) على عقيدة البعث والمعاد في الآخرة، ما ورد بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٢١]، هذا كقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧].

إن دلالة ذلك هي التنبيه على أمر المعاد والبعث، وفي التفسير: (كل ما كان في الأرض من الماء فهو ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ثم إنه تعالى: ﴿يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾ من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك، أو مختلفًا أصنافه، من بُرٍّ وشعير وسمسم ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾، وذلك بأنه إذا تم جفافه جاز له أن ينفصل عن منابته، وإن لم تتفرق أجزاؤه فتلك الأجزاء كأنها هاجت لأن تتفرق، ثم يصير ﴿حُطَٰمًا﴾ يابسًا ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ يعني: أن من شاهد هذه الأحوال في النبات علم أن أحوال الحيوان والإنسان كذلك، وأنه وإن طال عمره فلابد له من الانتهاء إلى أن يصير مصفرَّ اللون، منحطم الأعضاء والأجزاء، ثم تكون عاقبته الموت، فإذا كانت مشاهدة هذه الأحوال في النبات تذكِّره حصول مثل هذه الأحوال في نفسه وفي حياته، فحينئذ تعظم نفرته من الدنيا وطيباتها)[1] أي: من باب الاعتبار، ومقايسة تغيُّر أحوال الإنسان على تغير أحوال النبات بدليل المشاهدة، وقرينة الواقع في الحياة.

١- ومن دلالة الفعل (أخرج) بعقيدة الإحياء والموت أن علاقة الفعل مطردة ودالة على عموم إحياء الله للأرض والبلاد والبشر بإخراج الحي من الميت، يثبت إعجاز الخلق والإيجاد لمن فنِيَ بعد وجود، فعلى سبيل التقابل بين الإحياء والإماتة، في أربعة مواضع عامة نصَّ على إخراج الله حياة الحيّ إلى موت ميتٍ، وهي:

(١) التفسير الكبير، للرازي، (٢٦/ ٤٣٩-٤٤٠).

الموضع الأول: في قوله: ﴿وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ﴾ [آل عمران: ٢٧] أسلوب الخطاب، أي: أنت الله وحدك الحاضر في الذهن، والشاهد القائم الذي لا يغيب، ولا تخفىٰ عليه خافية فاعل ذلك دون سواك، ويدل ذلك علىٰ ضرورة الإقرار لله بكلا الفعلين، وبقية المواضع بأسلوب الغَيبة ﴿وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ﴾ أي: هو، وهذا الموضع يدل علىٰ (تدبير أرزاق العباد فقال: ﴿وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [آل عمران: ٢٧] هو كالتذييل لذلك كله، والرزق ما ينتفع به الإنسان فيطلق علىٰ الطعام والثمار)[(١)]، وهذا من تمام فضل الله علىٰ العباد فأخرجهم للحياة، ولم يتركهم هملًا، بل يسر أرزاقهم، وأقواتهم في الحياة الدنيا.

الموضع الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥][(٢)]، (أي: يخرج النبات الحي من الحب والنوىٰ، الذي هو كالجماد الميت)[(٣)]، وقال: (هو ما نحن فيه من قدرته علىٰ خلق الأشياء المتقابلة، وهذه الآيات المتتابعة الكريمة كلها من هذا النمط، فإنه يذكر فيها خلقه الأشياء وأضدادها، ليدل خلقه علىٰ كمال قدرته، فمن ذلك إخراج النبات من الحَبِّ والحب من النبات، والبيض من الدجاج والدجاج من البيض، والإنسان من النطفة والنطفة من الإنسان، والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن)[(٤)]، ثم أتىٰ بصيغة اسم الفاعل في قوله: ﴿وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾؛ لتدل صيغة الاسمية علىٰ

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣/ ٢١٥).

(٢) قد ورد قوله: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ﴾ بأسلوب الغيبة أي: هو سبحانه، في سور: [الأنعام: ٩٥]، و[يونس: ٣١]، و[الروم: ١٩]، وورد قوله: ﴿وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ﴾ أسلوب الخطاب في سورة [آل عمران: ٢٧].

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣/ ٢٧٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦/ ٢٧٧).

دوام واستمرار إخراج الله الميت من الحي، وفيه إشارة للاستدلال علىٰ كمال الله في قدرته ووحدانيته؛ لذا قال بعدها: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ أي: الله فاعل ذلك هو الأولىٰ بالتوحيد وتمام التأليه والعبودية دون سواه من الأنداد، دون بقية المواضع فبصيغة الفعل فيهما.

الموضع الثالث: في قوله: ﴿وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ﴾ [يونس: ٣١] بأسلوب الاستفهام التقريري، وكذلك يحمل هذا الموضع دليلًا واضحًا علىٰ تدبير الله وحده -دون سواه من آلهة أخرىٰ- لأمور العباد والبلاد في الحياة الدنيا، فقال: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ﴾ [يونس: ٣١]، وهذا تدبير شؤون العباد وفق مراد الله تعالىٰ، ثم أتىٰ بجوابه بعده مباشرة: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ وهذا جواب فطري حيث لم يدَّعِ أحد فعلَ الإحياء والإماتة مطلقًا إلا علىٰ سبيل التشغيب من النمرود، وهو باطل، لذلك لم يرد عليه الخليل، بل انتقل إلىٰ دليل مشاهَد أكثر ظهورًا للعيان وهو إشراق الشمس من مشرقها.

الموضع الرابع: فقال: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ [الروم: ١٩]، بصيغة المضارع وبأسلوب الغَيبة فيهما، وهو يحمل دليلًا علىٰ البعث بعد الموت في قوله: ﴿وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾ [الروم: ١٩]، (لينتظم الدليل علىٰ هذين الأصلين المهمين: أصل الوحدانية، وأصل البعث)[(١)]، حيث إن كمال قدرة الله تعالىٰ الفاعل لما يشاء، مدبر أمور العباد والبلاد، فهو القادر وحده دون سواه علىٰ أن يبعثهم بعد الممات. لذا فإن التسليم لله تعالىٰ من الواجب.

تاسعًا: دلالة الفعل (أخرج) علىٰ التحدي بالموت والحياة: كما في قوله تعالىٰ:

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢١/ ٨٥).

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام : ٩٣]، يظهر ذلك التحدي في حال معالجة الموت وقت السكرات والنزع، والتحدي ممن خلق للإنسان الحياة والموت، وجعل له أجلًا مسمًّىٰ، وإنْ تمنىٰ العبدُ الموتَ لضر أصابه فلن يستطيع إماتة نفسه بإخراج روحه من بدنه إلا إذا اعتدىٰ علىٰ بنيته بالانتحار وهو محرم شرعًا.

لقد تناولت السُّنة هذه الحال وذلك الظرف في توعية الفرد المسلم، ففي حديث أبي هريرة قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فقال: يَا رَسُولَ الله، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قال: «**أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَىٰ الفَقْرَ، وَتَأْمُلُ الغِنَىٰ، وَلَا تُمْهِلُ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ**»(١)، فمعنىٰ الحديث: أن الشح غالب في حال الصحة، فإذا سمح فيها، وتصدق كان أصدق في نيته، وأعظم لأجره، بخلاف من أشرف علىٰ الموت، وأيس من الحياة، ورأىٰ مصير المال؛ لأن وقت النزع -وهو وقت ضيِّق تعد فيه الكلمات ويكون التعبير بكلمات معدودة وعَبَرات- يسارع الكثير من الناس بالوصية في مرضاة الله تعالىٰ مع أنه كان في سعة الحياة يرتع ويربع ويلعب.

ومن ناحية أخرىٰ فإنه تبدو صلة الفعل (أخرج) بتحدي خلق حياة الحي، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝٦٦ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٦٦-٦٧]، حيث استبعد الإنسان الملحد البعث

(١) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» كتاب الزكاة، بَابُ: فَضْلِ صَدَقَةِ الشَّحِيحِ الصَّحِيحِ، رقم: (١٤١٩) (٢/ ١١٠)، واللفظ له، ومسلم، في «صحيحه» كتاب الزكاة، بَابُ: بَيَانِ أَنَّ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ صَدَقَةُ الصَّحِيحِ الشَّحِيحِ، رقم: (١٠٣٢) (٣/ ٧١٦).

بعد الموت، والمراد بالإنسان في قوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ (إمَّا الجنس بأسره، وإسناد القول للكل؛ لوجود القول بينهم، وإن لم يقله الجميع، وإمَّا البعض المعهود منهم، وهُم أهلُ الكفر، أو أُبَي بن خلف، فإنه أخذ عظامًا بالية ففتَّها، وقال أُبَي: «يزعم محمد أنا نُبعث بعدما نموت، ونصير إلىٰ هذا الحال» أي: يقول ابنُ خلف ذلك بطريق الإنكار والاستبعاد، وعن مثل هذا الإنكار قال ربُّنا: ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ أي: أُبعث من الأرض، أو من حال الموت)[1]، ووجه الإعجاز بخلق المنكِر ذاته في الدنيا لقوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾ الذي فلم يدَّع فعل الخلق في الدنيا أحد إلا الله تعالىٰ.

ورجَّح ابن عاشور أن المراد بالإنسان البعض علىٰ احتمالين هما: الأول: أن (المراد بالإنسان جمعٌ من الناس، بقرينة قوله بعده: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ [مريم: ٦٨] فيراد مَن كانت هذه مقالته -وهم معظم المخاطبين بالقرآن في أول نزوله-. الثاني: يجوز أن يكون وصفٌ حُذِف أي: الإنسان الكافر، فتكون كقوله تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٣ -٤]، وكذلك إطلاق الناس علىٰ خصوص المشركين ورد في آيات، كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١][2].

وكان الجواب في قوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الاستفهام إنكار وتعجيب من ذهول الإنسان المنكِر للبعث عن خلقه الأول[3]، وهذا يدل علىٰ العلاقة بين الفعل

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود العمادي، (٥/ ٢٧٤-٢٧٥).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١٦/ ١٤٤).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١٦/ ١٤٥).

(أخرج) بفعل الخلق والإيجاد بصفة عامة، كما يدل علىٰ علاقته بالحياة الأخرىٰ (البعث بعد الموت).

قال أبو السعود: من الذكر الذي يراد به التفكر والإظهار في موضع الإضمار لزيادة التقرير والإشعار بأن الإنسانية من دواعي التفكر فيما جرىٰ عليه من شؤون التكوين الموحية بالقلع عن القول المذكور، وهو السر في إسناده إلىٰ الجنس أو إلىٰ الفرد بذلك العنوان، والهمزة للإنكار التوبيخي، والواو لعطف الجملة المنفية علىٰ مقدَّر يدل عليه، أي: أيقول الإنسان ذلك ولا يذكر ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ أي: والحال أنه لم يكن حينئذ شيئًا أصلًا، فحيث خلقناه، وهو في تلك الحالة المنافية للخلق بالكلية مع كونه أبعد من الواقع فلأن نبعثه بجمع المواد المتفرقة، وإيجاد مثل ما كان فيها من الأعراض أولىٰ وأظهر [(١)].

◆ ◆ ◆

المطلب الخامس:
معاني الفعل (جعل) ودلالته

◆ أولًا: معاني الفعل (جعل) في اللغة:

أفاد علماء اللغة أن الفعل (جعل) من جَعَلَ جَعْلًا أي: صنع صُنعًا، وجَعَلَ أعمُّ؛ لأنَّكَ تقول: جَعَلَ يأكُلُ، وَجَعَلَ يصنع كذا، ولا تقول: صَنَعَ يأكُلُ، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠]، أي: صيَّرني، وقال: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩]، أي: سمَّوهم، والجُعْل والجُعَالة: ما جعلت لإنسان أجرًا له

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٥/ ٢٧٤-٢٧٥).

علىٰ عمل يعملُهُ، والجُعالاتُ: ما يتجاعل الناس بينهم عند بعث، أو أمر يحزبهم من السلُّطان، والجُعَلُ: دابَّةٌ من هوام الأرض، والجَعْلُ، واحدُها جَعْلَة: وهي النَّخلُ الصِّغار، وَالْجَعْوَلُ: وَلَدُ النَّعامِ[1]، وقد أفاد الإمام الراغب أن الفعل (جعل) يفيد التصيير، فهو (لفظ عام في الأفعال كلها، وهو أعم من فعَل وصنَع وسائر أخواتها، ويتصرف علىٰ خمسة أوجه:

الأول: يجري مجرىٰ (أوجد) فيتعدىٰ لمفعول واحد، كقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [النحل: ٧٨].

الثاني: في إيجاد شيء من شيء، وتكوينه، منه قوله: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢]، وقال: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [الشورى: ١١]، وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ [النحل: ٨١].

الثالث: في تصيير الشيء علىٰ حالة دون حالة، نحو قوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة: ٢٢]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا﴾ [النحل: ٨١]، وقال: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦].

الرابع: يجري مجرىٰ صار وطفق، فلا يتعدىٰ، نحو (جعل زيد يقول كذا).

والخامس: الحكم بالشيء علىٰ الشيء حقًّا كان أو باطلًا، فأما الحق فنحو قوله: ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]، وأمَّا الباطل فنحو قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا

---

(١) ينظر مادة (جعل) في: (العين) للخليل، (١/ ٢٢٩)، وتاج اللغة، للجوهري (٤/ ١٦٥٦)، ومقاييس اللغة، لابن فارس (١/ ٤٦٠-٤٦١)، والقاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادىٰ (ت: ٨١٧هـ)، (ص:٩٧٧).

ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: ١٣٦]، ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ﴾ [النحل: ٥٧]، ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١])[(١)]. أقول: وهذه الأنواع الثلاثة الأولىٰ محط الخلق والإيجاد من محض العدم عدا النوعين الرابع والخامس.

تبين مما سبق أن الفعل (جعل) تعددت معانيه، ومنها: خلق وصنع، وبمعنىٰ صار، فمن دلالته في اللغة: التحويل والصيرورة، فلما كثرت دلالات الفعل (جعل)، وكان الخلق أحد دلالاته اكتفيت بغيره من أفعال الخلق والإيجاد لوضوح دلالاته.

◆ ثانيًا: دلالات الفعل (جعل):

أولًا: عطف القرآن الفعل (جعل) علىٰ أفعال الخلق والإيجاد الصريحة الأساسية، وهي: (خَلَق وأَنْشَأ) بالواو العاطفة، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، فعطف جعل علىٰ خلق، وفي قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الملك: ٢٣]، فعطف جعل علىٰ أنشأ، والواو حرف عطف يفيد الترتيب، أو لمطلق الجمع وهو الأولىٰ، وهذا يدل علىٰ أن الفعل (جعل) له دلالة الخلق من عدم؛ لعطفه علىٰ (خَلَقَ وأَنْشَأَ)، بينما عطف الفعل (يذرأ) علىٰ (جعل)، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ [الشورىٰ: ١١]، ليدل علىٰ تهيئة المخلوق بعد الإيجاد، لعطف الفعل (يذرؤكم) عليه لبيان النسل والذرية، ويدل علىٰ أنه قبل الخروج للحياة ربما مرحلة التصوير، وقد سبق الارتباط بين الفعل (أخرج وجعل)[(٢)].

---

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب، (ص:١٩٦-١٩٧).

(٢) تنظر الدلالة السابعة للفعل «أخرج»، ص: ٥١-٥٢.

ثانيًا: دلالة الفعل (جعل) على سنة الزوجية في قوله: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النحل: ٧٢، والشورى: ١١]، قال الشربيني: (والمعنى أنه تعالى خلق النساء لتتزوَّج بهنَّ الذكور، ومعنى ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ كقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة، ٥٤]، وقوله: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور، ٦١]، أي: بعضكم بعضًا، ونظيره قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوٓا إِلَيْهَا﴾ [الروم، ٢١])[(١)].

وقال ابن عاشور: (جعل للإنسان سنة التناسل بالزوجية، فجعل تناسله بالتزاوج، ولم يجعله كتناسل النبات من نفسه، وجعل أزواج الإنسان من صنفه، ولم يجعلها من صنف آخر؛ لأن التآنس لا يحصل بصنف مخالف، كما جعل في ذلك التزاوج أنسًا بين الزوجين، ولم يجعله تزاوجًا عنيفًا أو مهلكًا كتزاوج العناكب[(٢)]، والضفادع، وأنْ جعَل بين كل زوجين مودة ومحبة، فالزوجان يكونان من قبل التزاوج متجاهلين فيصبحان بعد التزاوج متحابين، وأن جعَل بينهما رحمة)[(٣)]، وفي ذلك أوجه لمنة الله في سنة التزواج والزوجية.

ثالثًا: اقترن الفعل (جعل) بالفعل (خلق) بالعطف عليه في قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا﴾ [الأعراف: ١٨٩] للتعبير عن تهيئة الأزواج من أنفس أزواجهم أي: من جنسهم، حيث إن جعْلَ المرأة من جنس الرجل، وهو موضع منة في ذاته لكلا الطرفين -الرجل والمرأة-؛ لأن ما تجَانَسَ

---

(١) السراج المنير، للخطيب الشربيني، (٢/ ٢٤٨-٢٤٩).

(٢) تقتل أنثى العناكب الذَّكرَ بعد إتمام التزاوج؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۘ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢١/ ٧١).

تَآنسَ، فقد ثبت التعليل العام لآدم وذريته؛ لوضوح خلق كلٍّ من الزوجين علىٰ جهة استقلال للآخر علىٰ وجه الامتنان.

رابعًا: ارتباط الفعل (جعل) بخلق الأزواج والحفدة، في قوله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ [النحل: ٧٢]؛ ليبين ارتباط الفعل (جعل) بسنة الزوجية، والجمع بين جعل الأزواج والحفدة دليل المنة بالتناسل، وتكاثر الذرية، و(المشهور أنَّ الحافد ولد الولد من الذكور والإناث)[(١)]، وتكرر الفعل (جعل) مع الحفدة؛ لتأكيد استقلالية كل منهما عن الآخر، ولإظهار براعة الخلق، ولتفريع الخلق بعضهم من بعض برءًا وذرءًا وبثًّا، وهذه الآية الكريمة دليل منتظمٌ في سلك أدلةِ التوحيد؛ لأن الله لا زوج له ولا ولد، فقال: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ﴾ [الأنعام: ١٠١].

خامسًا: ارتباط الفعل (جعل) بخلق الإنسان وتهيئة حواسه، في قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]، وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩] حيث هيَّأ الإنسان للحياة بخلق حواسه عند التَّكوين الذي هو من فعل الله تعالىٰ، بدلالة أصلية للفعل (جعل) لاحقة بالفعل (أخرج) حيث عطفه علىٰ جعل الأزواج، وعلاقة الفعل (جعل) بالخلْق تبدو في التعبير به عن مرحلة تكوين أعضاء الإنسان لتحقيق تمام المخلوق، فجعل السمع والأبصار والأفئدة أي: أَخْرَجَكُم بلا شيء، ثم أعطاكم ومنحكم سمعًا وبصرًا وفؤادًا، وليس فيه دلالةٌ علىٰ تأخر الجعْل المذكور عن الإخراج لأن مدلول الواو هو الجمعُ مطلقًا لا الترتيب علىٰ أن أثر ذلك الجعلِ

(١) السراج المنير، للخطيب الشربيني (٢/ ٢٤٩).

لا يظهر قبل الإخراج أي: جعل لكم هذه الأشياءَ آلاتٍ تحصِّلون بها العلمَ والمعرفة[1]، والتذكير بالحواس لحفظها وصيانتها من الحرام، لذلك قال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

كما أظهر الفعل (جعل) مواطن المنة الربانية طلبًا لاستحقاق المنعم شكرًا وحمدًا؛ فأما مواطن المنة الربانية علىٰ خلقه، ففي تهيئة حواسِّ الإنسان الظاهرة، وهي:

١- (السمع) آلته الأذُن؛ للاستماع والمعرفة، فالسمع محل التفاهم المتبادل بين الناس بسماع الخطاب وردِّ الجواب، وتقديمُ السمعِ علىٰ البصرِ؛ لأنه طريق تلقِّي الوحي، وإدراك السمع أقدمُ من إدراك البصر، وإفرادُه باعتبار كونه مصدرًا في الأصل، ووحدة المسموع.

٢- (الأبصار) آلته العين، وهي جمع (بَصَر) والجمع لتعدد المُبصَرَات؛ لتحقيق تعارف الناس، والبَصَر أصل لمنهج التجربة والمشاهدة؛ لتحصيل علوم الطبيعة والتمكن بالنظر فيها من العلوم المكتسبة.

٣- (الأفئدة) محط الإدراك وتعقل الأشياء، وفهم المعارف، والبصيرة المتصلة بالقلب، وهو ما يميز الإنسان عن العجماوات، ومناط التكليف، وجمع الأفئدة لتعدد المعقولات، وذكر الأفئدة لشرفها.

سادسًا: إظهار الفعل (جعل) استحقاق المنعم سبحانه شكرًا وحمدًا بدلالة فاصلة الآيتين السابقتين علىٰ الحض علىٰ شكر الله في قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]، أي: رجاء شكركم، وفي قوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩]

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٥/ ١٣١-١٣٢)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (١٤/ ٢٣١-٢٣٢).

دلالة علىٰ علاقة الفعل (جعل) بالمنة الربانية حيث كانت دالة علىٰ أن الفعل جعل مرتبط ارتباطًا وثيقًا بشكر المنعم؛ لأنه أسدىٰ للإنسان حواسَّه كنِعَمٍ ظاهرة مشاهدة للعبد؛ لذا قال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ [الأنعام: ٤٦]، وهذا تهديد للإنسان، كما قال: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [يونس: ٣١] أي: الذي وهبكم هذه القوة السامعة، والقوة الباصرة، ولو شاء لذهب بها، ولسلبكم إياها(١)، فإن صرَف العبد نظره إلىٰ مواطن الامتنان بنعم الله -تعالىٰ- الظاهرة فضلًا عن نِعَمه الباطنة التي خلقها الله في الإنسان، لأقر بربوبية الله الذي أسداها وأولاها، ولخَرَّ ساجدًا لله تعالىٰ حامدًا وشاكرًا ما بقي، لظهور منة الله تعالىٰ الأصلية في تمام خلق الإنسان، ليدفعه إلىٰ الإيمان به، والاعتراف بألوهيته.

المطلب السادس:
معاني الفعل (نشر) ودلالته

أولًا: معاني الفعل (نشر) في اللغة:

أفاد علماء اللغة أن الفعل (نشر) النون والشين والراء أصل صحيح يدل علىٰ فتح شيء وتشعبه، والنَّشْرُ، الرائحة الطيبة، من نشَر الثوب والصحيفة والسحاب والنعمة والحديث: أي: بَسَطَهَا، والنُّشور: الحياة بعد الموت يُنشرهم الله إنشارًا، ونَشِرَ المَيِّتُ نُشُورًا. وأَنْشَرَ اللهُ المَيِّتَ فَنُشِرَ، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وقال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠] وقيل: نَشَرُوا في معنىٰ انْتَشَرُوا، وقرئ: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟﴾ [المجادلة: ١١] أي: تفرَّقوا،

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤/ ٢٣٢).

والانْتِشَارُ: انتفاخ عصَب الدابة، والنَّوَاشِرُ: عروق باطن الذراع، والنَّشْرُ: الكَلَأ اليابس إذا أصابه مطرٌ فَيُنْشَرُ أي: يَحْيَا، فيخرج منه شيء كهيئة الحَلَمَةِ، وذلك داءٌ للغنم، يقال منه: نَشَرتِ الأرضُ تنشرُ نُشورًا، إذا أصابها الربيعُ فأنبتت، فهي ناشرةٌ، ويقال: رأيت القوم نشرًا، أي: منتشرين، ونشر المتاع وغيره يَنْشُرُهُ نَشْرًا: بسطه[1]. إذًا معاني الفعل (نشر) هي: البسط والتفرُّق والتفريق، والتشعب، وإعادة الخلق بعد الموت.

◆ ثانيًا: دلالات الفعل (نشر):

أولًا: يدل الفعل (نشر) علىٰ الخلق دلالة خفية غير ظاهرة؛ لذلك قال ابن عاشور في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةً مَّيۡتًاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾ [الزخرف: ١١] (فأولها محكم وآخرها متشابه)[2]، وهو يقصد بذلك أن إنزال غيث السماء، وإحياء البلد الميت به محكم؛ لأن دلالته المشاهدة المرئية بالنظر في الواقع، وأما تشبيه ذلك بإعادة الموتىٰ للحياة فشأن متشابه، وسبب ذلك أن دلالة الفعل (نشر) علىٰ الخلق دلالة خفية.

ثانيًا: دلالة الفعل (نشر) علىٰ إحياء بلدة ميْتة بجدب ويبس وقحط، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةً مَّيۡتًا﴾ هذا موضع تعدد نِعَم الله علىٰ البشر جميعًا -مؤمنهم وكافرهم- مسبوق باستفهام تقريري لخلق السماء والأرض، وجعل الأرض مهدًا للسائرين، وتسليك سبلها للطارقين، وتنزيل المطر من السماء، كقوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٍ﴾ [النمل: ٦٠]، وفي التفسير: ﴿فَأَنشَرۡنَا﴾

---

(١) مادة (نشر) ينظر: (العين) للخليل، (٦/ ٢٥١-٢٥٢)، وتاج اللغة، للجوهري (٢/ ٨٢٧- ٨٢٨)، ومقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ٤٣٠)، والمفردات، للراغب (ص: ٨٠٥).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣/ ١٥٦).

أي: أحيينا، والفعل يفيد العدول عن الغيبة إلىٰ إخبار للمخاطب لعلم المخاطب بالمراد ﴿بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا﴾ يريد ميّتًا)[١].

وختمت الآية الكريمة بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾؛ لتدل علىٰ إمكانية البعث والنشور بإخراج الناس من قبورهم، ونشرهم لفصل القضاء؛ لذا فإن (الآية حجة عليهم في إنكار البعث)[٢]، وهذا مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ﴾ [ق: ١١]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧]، كما أن نشر البلدة الميتة يذكر بإحياء البلدة الميتة في قوله: ﴿لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا﴾ [الفرقان: ٤٩]، فالسقي والإحياء والنشر من مظاهر الامتنان والنِّعَم.

ثالثًا: دلالة الفعل (نشر) علىٰ إرسال السحاب بالغيث منه للعباد علىٰ سبيل الامتنان، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٧]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا﴾ [الفرقان: ٤٨]، وقوله: ﴿وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النمل: ٦٣]، في السور الثلاث وفي (بشرًا) أربع قراءات: الأولىٰ: (قرأ الإمام نافع المدني[٣]

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (٣/ ٢٦٦- ٢٦٧).

(٢) المصدر السابق، (٣/ ٢٦٧).

(٣) نافع: (...-١٦٧هـ) هو: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي بالولاء المدني: أحد القراء السبعة، قال أبو قرة: سمعت نافعًا يقول: قرأت علىٰ سبعين من التابعين، واشتهر في المدينة وانتهت إليه رياسة القراءة فيها، وأقرأ الناس نيفًا وسبعين سنة، وتوفي بها. قال الليث بن سعد: قدمت المدينة سنة مائة فوجدت رأس الناس في القراءة نافعًا. وقال ابن مجاهد: وكان نافع عالمًا بوجوه القراءات، متبعًا لآثار الأئمة الماضين. ينظر: طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم، عبد الوهاب بن يوسف بن =

وابن كثير المكي[1] وأبو عمرو البصري[2]: (نُشُرًا) بنون في أوله، وبضمتين، جمع نُشُورٍ، كرسول ورسُل، والثانية: قرأ ابن عامر الشامي[3]: (نُشْرًا) بضم فسكون علىٰ تخفيف

= إبراهيم، ابن السَّلَّار الشافعي (ت: ٧٨٢هـ)، (ص: ٧٠)، والأعلام للزركلي، (٨/ ص٥).

(١) ابن كثير: (٤٥-١٢٠هـ) هو: عبد الله بن كثير بن المطلب الإمام أبو معبد، مولىٰ عمرو بن علقمة الكناني الداري المكي إمام المكيين في القراءة. أصله فارسي، وكان داريًّا بمكة، وهو العطار، مأخوذ من قوله عطر دَارِين، وداربن موضع بالبحرين من نواحي الهند. وقيل في نسبته الداري: إنه قرشي من بني عبد الدار، قاله البخاري. مولده ووفاته بمكة، حرفته وأجمع أهل مكة علىٰ قراءته. ينظر: معرفة القراء الكبار علىٰ الطبقات والأعصار محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، (٤٩-٥٠)، وطبقات القراء السبعة لعبد الوهاب، (ص٦٥)، والأعلام، للزركلي، (٤/ ١١٥).

(٢) أبو عمرو: (٦٨-١٥٤هـ وقيل: ١٥٥) هو: العريان بن العلاء بن عمَّار بن العريان بن عبد الله بن الحصين الحارث بن جلهمة بن حجر بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمر بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر. اختلف في اسمه فقيل: زبَّان، وقيل: العريان، وقيل: ريَّان، وقيل: عيينة، وقيل: يحيىٰ. نشأ بالبصرة، وأصله من الكازرون، وتوفي بالكوفة عند محمد بن سليمان الهاشمي، في خلافة أبي جعفر المنصور، كان أبو عمرو مقدمًا في عصره، عالما بالقراءة، عارفًا بوجوهها، قدوة في العربية، معوِّلًا علىٰ الخبر، مستمسكًا بالأثر، فضله في علم اللسان، وحفظ الأشعار، وأيام العرب، ومعرفة اللغة، وكان عاليًا في الورع. ينظر: طبقات القراء السبعة لعبد الوهاب، (ص٧٧-٧٨).

(٣) ابن عامر: (٨-١١٨هـ) هو: عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر بن عبد الله بن عمران الشامي اليحصبي بضم الصاد وكسرها نسبة إلىٰ يحصب بن دهمان،، وقد اختلف في كنيته كثيرًا والأشهر أنه أبو عمران إمام أهل الشام في القراءة والذي انتهت إليه مشيخة الإقراء بها، قال ابن مجاهد: وعمل بقراءته أهل الشام والجزيرة أعظم دليل علىٰ قوتها وكيف يسوغ أن يتصور قراءة الأصل لها، وبجمع الناس وأهل العلم من الصدر الأول. كان إمامًا عالمًا ثقة فيما أتاه حافظًا لما رواه متقنًا لما وعاه عارفًا قيمًا فيما جاء به صادقًا فيما نقله من أفاضل المسلمين وخيار التابعين، أحد القراء السبعة، ولي قضاء دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك، ولد في البلقاء، في قرية رحاب، وانتقل لدمشق، بعد فتحها، وتوفي فيها. ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء محمد بن محمد بن =

الحركة، والثالثة: قرأ حمزة بن حبيب الزيات(١)، والكسائي(٢)، وخلف(٣): (نَشْرًا) بفتح النون وسكون الشين علىٰ أنه من الوصف بالمصدر، وكلها من النشر وهو البسط)(٤)،

= يوسف بن الجزري، (ت: ٨٣٣هـ)، (١/ ٤٢٣- ٤٢٥).

(١) حمزة: (٨٠-١٥٦هـ وقيل: ١٥٨) هو: حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، التيمي الإمام الحبر أبو عمارة الكوفي التيمي مولاهم الزيات: أحد القراء السبعة، كان من موالي التيم فنسب إليهم، وأدرك الصحابة بالسن فلعله رأىٰ بعضهم، كان إمامًا حجة قيما بكتاب الله تعالىٰ، حافظًا للحديث، بصيرًا بالفرائض والعربية، عابدًا خاشعًا قانتًا لله، عالمًا بالقراآت، انعقد الإجماع علىٰ تلقي قراءته بالقبول. ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، (١/ ٢٦١)،ومعرفة القراء الكبار للذهبي (ص٦٦-٧١)، والأعلام، للزركلي، (٢/ ٢٧٧).

(٢) الكسائي: (١٢٦-١٨٩هـ) هو: علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء، الكوفي، الإمام أبو الحسن الأسدي، مولاهم الكوفي المقرئ النحوي، أحد الأعلام، سمع من جعفر الصادق، الكسائي: انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة، إمام في اللغة والنحو والقراءة من أهل الكوفة، ولد في إحدىٰ قراها، وتعلم بها، وقرأ النحو بعد الكبر، وتنقل في البادية، وسكن بغداد، وتوفي بالري، عن سبعين عامًا، وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الأمين. ينظر: معرفة القراء الكبار للذهبي (ص٧٢-٧٧)، وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، (١/ ٥٣٥)، الأعلام، للزركلي، (٤/ ٢٨٣)، ومعجم المؤلفين كحالة، (٧/ ٨٤).

(٣) خلف: (١٥٠-٢٢٩هـ) هو: خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف، ويقال: خلف بن هشام بن طالب بن غراب الإمام العلم أبو محمد البزار بالراء البغدادي الأسدي: أحد القراء العشرة، كان عالمًا عابدًا ثقة، أصله من فم الصِّلح بكسر الصاد قرب واسط، كان ثقة كبيرًا زاهدًا عابدًا عالمًا، واشتهر ببغداد، وتوفي ببغداد وهو مختف من الجهمية. ينظر: معرفة القراء الكبار للذهبي (ص١٢٣-١٢٤)، وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، (١/ ٢٧٢-٢٧٤)، وطبقات القراء السبعة لعبد الوهاب، (ص٩٦-٩٨)، والأعلام، للزركلي، (٤/ ٣١١-٣١٢).

(٤) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة عبد الفتاح القاضي، (ص:١٤٤)، وينظر: الإرشادات الجلية في القراءات السبع من طريق الشاطبية، محمد محمد سالم محيسن، (ص: ١٨٣-١٨٤)، =

والرابعة: قرأ عاصم الكوفي[1]، من القراء السبعة قرأها: (بُشْرًا) بالباء، وهو القارئ الوحيد الذي قرأها كذلك، أي: من البشارة يبشر الله تعالىٰ بغيث يغيث به عباده.

وفي التعبير عن إرسال الرياح هنا أسلوبان: الأول: خبري مرسل للتقرير في قوله: ﴿يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشُرًا﴾ [الأعراف:٥٧] وفي قوله: ﴿أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا﴾ [الفرقان:٤٨]. **الأسلوب الثاني**: أسلوب إنشائي استفهامي في قوله: ﴿وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا﴾ [النمل:٦٣]، وهذا يعتبر من التحدي القرآني؛ فمن ذا يستطيع الإقرار والاعتراف بهذا الأمر؟! ومن عجيب الأمر ورود قوله: ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ عقب المواضع بالسور الثلاث السالفة، ومعناه: الدلالة علىٰ أن السحاب تحمله الرياح مقدِّمة للغيث فيُرسل برحمة الله، أي: تتقدمها مدة وتنشر أسحبتها[2] (ولأن المراد التذكر الشامل الذي يزيد المؤمن عبرة وإيمانًا، والذي من شأنه أن يقلع من المشرك اعتقاد الشرك ومن منكر البعث إنكاره)[3]، وهذا كقوله: ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ [الشورىٰ:٢٨]، وقوله: ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ [المرسلات:٣]، أي: الملائكة التي تَنْشُرُ الرياح، أو الرياح التي تنشر السَّحابَ.

= والتحرير والتنزير، لابن عاشور، (١٩/ ٤٧).

(١) عاصم: (...-١٢٧هـ) هو: عاصم بن بهدلة أبي النَّجُود بفتح النون وضم الجيم وقد غلط من ضم النون أبو بكر الأسدي بالولاء الكوفي الحناط بالمهملة والنون، أبو بكر، معدود من التابعين، شيخ الإقراء بالكوفة، وأحد القراء السبعة، توفي بالكوفة، كان ثقة في القراآت، صدوقًا في الحديث. قيل: اسم أبيه عبيد، قال أحمد: رجل صالح خير ثقة. ينظر: معرفة القراء الكبار للذهبي (ص٥١-٥٤)، وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، (١/ ٣٤٦- ٣٤٩)، وطبقات القراء السبعة لعبد الوهاب، (ص٨٤)، والأعلام، للزركلي، (٣/ ٢٤٨).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٨/ ١٨١).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٨/ ١٨٤).

رابعًا: دلالة الفعل (نشر) علىٰ منة الله علىٰ خلقه في (النهار والليل)، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٧]، هو عقيب قوله: ﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ في الليل، فلما كان ذلك كذلك وصف النهار بأن فيه اليقظة والنشور من النوم أشبه إذ كان النوم أخا الموت[(١)]، أي: (ذا نشور وانتشار ينتشر فيه الناس للمعاش، أو بعث من النوم بعث الأموات، فيكون إشارة إلىٰ أن النوم واليقظة أنموذج للموت والنشور)[(٢)].

وانتشار الناس: تصرُّفهم في الحاجاتِ، فقد جعل الله في النهار انتشارَ العباد ابتغاءً للرزقِ، يشهد لذلك قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ١١]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧٣]، فالليل سكنٌ بالنوم وسكون للراحة، وأما النهار فابتغاء للرزق بالانتشار.

وعلىٰ هذا جرت السنة النبوية في أن النبيَّ ﷺ كان إذا أصبح وقام من نومه يقول: «**الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَما أماتَنا، وإلَيْهِ النُّشُورُ**»[(٣)]، فقد (سمىٰ النوم موتًا؛ لأنه يزول معه العقل والحركة تمثيلًا وتشبيهًا لا تحقيقًا)[(٤)]. وبهذا ندرك توافق السنة مع القرآن في تشبيه اليقظة من النوم بالبعث بعد الموت، وهو دال علىٰ أمور، منها:

---

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، (١٩/ ٢٧٨).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، (٤/ ١٢٦).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب الدعوات، باب: مَا يَقُولُ إِذَا نَامَ، رقم: (٦٣١٢) (٦/ ٦٩)، من حديث حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ، ومسلم، في «صحيحه» كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب: مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخْذِ الْمَضْجَعِ، رقم: (٢٧١١) (٤/ ٢٠٨٣)، من حديث البراء، واللفظ لهما.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (٤/ ٣٦٩).

أولًا: أن الرسول ﷺ لم يخالف الرؤية القرآنية بل عنها صدر ونبع ووجَّه الأمة إلىٰ التصور الصحيح.

ثانيًا: أن رؤية الإسلام -قرآنا وسنة- إلىٰ الحياة الدنيا أنها انتشار ويقظة وحركة دؤوبة ودائمة مستمرة علىٰ سبيل الاطراد، فلا تنقطع إلا بموت العبد.

ثالثًا: أن الإسلام يقر في ذاكرة الفرد المسلم أن الدنيا منقطعة لا أبدية فيها أو بقاء إلىٰ الأبد، فالإنسان مخلوق محدَث، وكل محدث لابد له من نهاية بالموت ثم البعث يوم النشور؛ لأن من المحدثات ما لا يلحقه الموت أو النشور؛ كالجمادات.

خامسًا: علاقة الفعل (نشر) بالعقائد، وذلك في أمور:

أولًا: دلالة الفعل (نشر) علىٰ عقيدة البعث[1] والمعاد، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩]، في التفسير: إثبات البعث مع تصديق الرسول ﷺ فيما أخبر به عنه، والإشارة في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ إلىٰ المذكور من قوله: ﴿فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾، والأظهر أن تكون الإشارة إلىٰ مجموع الحالة المصورة، أي: مثل ذلك الصنع المحكم المتقن نصنع صنعًا يكون به النشور بأن يهيِّئ الله حوادثَ سماوية أو أرضية أو مجموعة منهما، حتىٰ إذا استقامت آثارها وتهيأت أجسام لقبول أرواحها أمر الله بالنفخة الأولىٰ والثانية، فإذا الأجساد قائمة ماثلة نظير أمر الله بنفخ الأرواح في الأجنة عند استكمال تهيئها لقبول الأرواح[2]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، أي: (وإليه نشوركم، وهو المرجعُ

(١) وقد سبق التعريف بالبعث في الدلالة الخامسة من الفعل (أحيا).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٢/ ٢٦٨-٢٦٩).

بعدَ البعثِ لا إلىٰ غيرِه، فهو سائلكم عن شكر ما أنعم به عليكم)[١]، فلما خلق الله الأرض جعلها مذلَّلةً للمشي في طرقها طلبًا للرزق، وهذا موضع نعَمِ اللهِ تعالىٰ.

ثانيًا: دلالة الفعل (نشر) علىٰ عقيدة النشر[٢] في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢٢] ﴿ثُمَّ﴾ عطف لبيان تراخي ما بين الميلاد والموت ثم تراخي ما بين الموت والبعث، وقوله: ﴿إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ (إشعارًا بأن وقته غير معلوم لنا، فتقديمه وتأخيره موكول إلىٰ مشيئة الله تعالىٰ، وأما سائر الأحوال المذكورة قبل ذلك فإنه يعلم أوقاتها من بعض الوجوه، إذًا الموتُ وإن لم يَعلم الإنسان وقتَه؛ ففي الجملة يعلم أنه لا يتجاوز فيه إلا حدًّا معلومًا)[٣]، ومفعول (شَاءَ) دل عليه الفعل (أنشره) للعلم به أي: (شاء إنشاره)[٤]، ففيه دلالة الفعل نشر علىٰ الحياة بالبعث بعد الموت، وفي تعليقِ الفعل (أنشر) بمشيئة الله (إيذان بأنَّ وقته غير متعين، بل هو تابعٌ لها)[٥]؛ ليدل علىٰ توقف النشر علىٰ إرادة الله.

ثالثًا: دلالة الفعل (نشر) علىٰ إعجاز القرآن، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا

---

(١) مدارك التنزيل، للنسفي، (٣/ ٥١٤)، وينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٩/ ص:٧).

(٢) النشور: جمع عظام الموتىٰ بعد النفخة الثانية في الصور من الفعل نشر، قال تعالىٰ: ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، وقال: ﴿بَل كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٠]، وقال: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس:٢٢]. ينظر: المفردات للراغب، (ص: ٨٠٥).

(٣) التفسير الكبير، للرازي، (١٣/ ٥٨).

(٤) السراج المنير، للخطيب الشربيني، (٤/ ٤٨٦-٤٨٧).

(٥) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٩/ ١١٠).

﴿وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣]، هذه الآية الكريمة تحمل من التحدي والإعجاز بالأفعال الدالة علىٰ الخلق والإيجاد، والعجيب أن بعض الأفعال الدالة علىٰ الخلق والإيجاد وردت لبيان قدرة الله وحده علىٰ الخلق والإيجاد من عدم محض -وهي النشأة الأولىٰ-، وبعض الأفعال الدالة علىٰ الخلق وردت لبيان الخلق والإيجاد بعد وجود وهي النشأة الأخرىٰ، والتحدي بالأولىٰ يمد قوة احتجاج للتحدي بالثانية، وفي هذه الآية الكريمة من التحدي بعدد أفعال الخلق والإيجاد في المواضع التالية:

١- **في قوله:** ﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا﴾ (أي: لا يقدرون علىٰ خلق شيءٍ من الأشياءِ أصلًا، وقيل: لا يقدِرون علىٰ أن يختلقُوا شيئًا)[(١)]، انتفاء خلق الآلهة المعبودة شيئًا من الأشياء، أو انتفاء قدرتهم.

٢- **في قول الله:** ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ إثبات أن هذه الآلهة المعبودة نفسها محدثة مخلوقة من مواد طبيعية أي: (كسائر المخلوقاتِ، وهم يُختلَقون حيث تختلقهم عبدتُهم بالنَّحت والتَّصويرِ)[(٢)]، فكيف تتخذ معبودة من دون الله تعالىٰ؟!

٣- **في قوله:** ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ (أي: لا تقدر علىٰ الإحياء والإماتة في زمان التكليف، وثانيًا في زمان المجازاة، ومن كان كذلك كيف يسمىٰ إلهًا؟! وكيف يحسن عبادته مع أن حق مَن يحق له العبادة أن ينعم بهذه النِّعَم المخصوصة؟!)[(٣)]. ولقد أوضح الإمام الرازي بـ(زمان التكليف) التحدي بالخلق الأول -النشأة الأولىٰ- أي: في زمان التكليف، كما أوضح بـ(زمان المجازاة)

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٦/ ٢٠٢).

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) التفسير الكبير، للرازي (٢٤/ ٤٣١).

التحدي بالخلق عند النشأة الأخرىٰ وتكون يوم البعث والنشور، والمعنىٰ أنه (بعد بيان عجز الآلهة عما هو أهون من هذه الأمور، من دفع الضر، وجلب النفع أوضح أنهم لا يقدرون علىٰ التصرف في شيء منها بإماتة الأحياء، وإحياء الموتىٰ وبعثهم؛ للتصريح بعجزهم عن كل واحد مما ذكر علىٰ التفصيل، والتنبيه علىٰ أن الإله يجب أن يكون قادرًا علىٰ جميع ذلك)(١)، فالله هو المحيي المميت، والتعبير بالاسم الموت والحياة؛ ليدل علىٰ نفي أصل قدرة الأصنام علىٰ الإحياء والإماتة، فضلًا عن أن يملكوا نشورًا بعد الموت، وبعد النفخة الثانية.

رابعًا: مناسبة الفعل (نشر) للرد علىٰ منكري البعث، في قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٠]، وهم قوم لوط، أي: بل كانوا قومًا كفرة بالبعث لا يخافون بعثًا، فلا يؤمنون، أو لا يأملون نشورًا كما يأمله المؤمنون؛ لطمعِهم في الوصول إلىٰ ثواب(٢)، (اكتفىٰ عن التَّصريحِ بإنكارِهم ذلك بذكرِ ما يستلزمُه من إنكارهم للجزاءِ الأُخرويِّ الذي هو الغاية من خلق العالمِ، وقد كُني عن ذلك بعدم النُّشورِ أي: عدم توقُّعهِ كأنَّه، قيل: بل كانُوا ينكرون النُّشورَ المستتبع للجزاءِ الأُخرويِّ، ولا يرَون لنفسٍ من النُّفوسِ نُشُورًا أصلًا مع تحقُّقهِ حتمًا، وشمولِه للنَّاسِ عمومًا واطِّرادِه وقوعًا)(٣).

خامسًا: دلالة الفعل (نشر) علىٰ الإعادة كما في قوله: ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ [البقرة: ٢٥٩] فاقترن الفعل (نشر) بالعظام مثلما اقترن

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٦/ ٢٠٢) بتصرف وتقديم وتأخير.

(٢) مدارك التنزيل، للنسفي، (٢/ ٥٣٨).

(٣) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٦/ ٢٢٠).

كلٌّ من الفعل (**أحيا، وأنشأ**) بالعظام كما في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ [يس: ٧٨-٧٩]، وفي أسلوب استفهام إنكاري؛ لينكر عليهم جحودهم عقيدة النشر والمعاد.

سادسًا: وفي الفعل (**نَنْشُرُهَا**) في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ﴾ [البقرة: ٢٥٩] قرأ الكوفيون (عاصم وحمزة والكسائي) وابن عامر: (ننشزها) بزاي معجمة من النشز، وهو الارتفاع، أي: يرتفع بعضُها علىٰ بعض للتركيب، وافقهم الأعمش، وقرأ الباقون: (ننشرها) بالراء المهملة من النشر، أنشر الله الموتىٰ أحياهم(١)؛ لأن (أنشرها أي: أحياها، يقال: أنشر الله الميت ونشره أحياه، وأنشزها؛ أي: رفع بعضَها إلىٰ بعض حتىٰ التأَمَت، فيجتمع المعنيان في القراءتين أخيرًا في معنىٰ واحد)(٢)، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢٢] قال الفراء: كأنه ذهب إلىٰ النشر بعد الطي، وذلك أن بالحياة يكون الانبساط في التصرف، فهو كأنه مطوي ما دام ميتًا، فإذا عاد صار كأنه نشر بعد الطي، ومنه قرأ ابن عباس رضي الله عنه: (**كَيْفَ نَنْشُرُهَا**)، وقرأ الحسن: (ننشرها)، كما قال الشاعر:

طَوَتْكَ خُطُوبُ دَهْرِكَ بَعْدَ نَشْرٍ ... كَذَاكَ خُطُوبُهُ طَيًّا وَنَشْرًا(٣)

سابعًا: دلالة الفعل (نشر) علىٰ أول الخلق واعتقاد الخلافة في الأرض،

(١) ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، للدمياطي، (ص: ٢٠٨)، البدور الزاهرة القاضي، (ص:٦٦)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٣/ ٣٧).

(٢) مدخل في علوم القراءات، د. السيد رزق الطويل (ت: ١٤١٩هـ)، (ص: ٢٨).

(٣) ينظر: التفسير الكبير، للرازي، (٧/ ٣٣)، وتاج اللغة، للجوهري (٢/ ٨٢٨)، والمفردات، للراغب، (ص: ٨٠٥).

وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠]، فالبعث والانتشار سمة البشَر بالنهار، (وهي حجة ظاهرة وآية باهرة من جملتها خلق الإنسان من تراب، وتقريره: أن التراب أبعد الأشياء عن درجة الأحياء، وذلك من حيث كيفيته، فإنه بارد يابس والحياة بالحرارة والرطوبة، ومن حيث لونه فإنه كدر والروح نير، ومن حيث فعله فإنه ثقيل والأرواح التي بها الحياة خفيفة، ومن حيث السكون فإنه بعيد عن الحركة والحيوان يتحرك يمنة ويسرة، وفي الجملة فالتراب أبعد من قبول الحياة عن سائر الأجسام)(١).

قوله: (بَشَرٌ) إشارة للقوة المدركة؛ لأن (البشر بشرٌ لا بحركته، فإن غيره من الحيوانات كذلك، وقوله: ﴿تَنتَشِرُونَ﴾ إشارة للقوة المحركة، وكلاهما من التراب عجيب، أما الإدراك فلكثافته وجموده، وأما الحركة فلثقله وخموده، وقوله: ﴿تَنتَشِرُونَ﴾ إشارة إلىٰ أن العجيبة غير مختص بخلق الإنسان من التراب بل خلق الحيوان المنتشر من التراب الساكن عجيب فضلًا عن خلق البشر)(٢)، و﴿تَنتَشِرُونَ﴾ مضارع دالٌّ علىٰ لزوم صفة الانتشار للبشر في الماضي، واستمرارٍ في الحاضر إظهارًا لوجه المنة للبشر العاقل؛ فانتشار ذرية آدم في الحياة بحركة وتصريف؛ طلبًا للرزق والسفر والانتقال قديم قدم آدم أبي البشرية.

ولقد فرَّق الإمام الرازي بين قوله: ﴿إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ﴾ وبين قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥]، فقال: (هنا ﴿إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ﴾ وقال في خلق الإنسان أولًا: ﴿إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ﴾ فنقول في الآية الأولىٰ:

---

(١) التفسير الكبير، للرازي، (٢٥/ ٨٩).

(٢) المصدر السابق، (٢٥/ ٩٠).

﴿تَنتَشِرُونَ﴾ يكون خلق وتقدير وتدريج وتراخٍ حتىٰ يصير التراب قابلًا للحياة فينفخ فيه روحه، فإذا هو بشر، وأما في الإعادة؛ أي: في الآية الأخرىٰ ﴿تَخْرُجُونَ﴾ فلا يكون تدريج وتراخٍ، بل يكون نداء وخروج)[1]، هذا موضع يدل علىٰ إعجاز المفردة القرآنية.

يدل كلا الفعلين (نشر وخرج) علىٰ الابتعاث والانتشار والبروز في الدنيا والآخرة، وإن الدلالة الأوْلَىٰ بالفعل (نشر) البعثُ في الآخرة، وقد ورد في شأن الخلق الدنيوي كما في الآية الأولىٰ، وأن الدلالة الأوْلَىٰ بالفعل (خرج) الصدورُ والبروز في الدنيا، وقد ورد في شأن أخروي، كما في الآية الثانية لبيان فائدة فرعية بالإشارة إلىٰ عموم فعل الخلق والإيجاد سواء بداية خلْق من العدم إلىٰ الحياة الدنيا، أو إعادة الخلق في القبور يوم النشور.

وبعد، فهذا أوان بيان فائدة دراسة أفعال القرآن الدالة علىٰ الخلق والإيجاد لعصرنا الذي نحياه بخيره وشره، وحلوه ومرِّه؛ فما عَلاقة دراسة هذه الأفعال القرآنية بحياتنا الفكرية المعاصرة؟ فيما يلي جواب ذلك مستعينًا بالله تعالىٰ مالك القُوىٰ والقُدر.

(١) ينظر: التفسير الكبير، للرازي (٢٥/ ٩٦)، والسراج المنير، للخطيب الشربيني (٣/ ١٦٥).

المبحث الثاني

مواجهة الإلحاد في ضوء أفعال القرآن الدالة على الخلق والإيجاد

المطلب الأول: ضرورة النظر في أفعال القرآن الدالة على الخلق والإيجاد

إن انتشار الإلحاد[(١)] اليوم بين بعض الشباب في العالم العربي المسلم، وبصور عديدة حيث أطلق عليهم (لادينيِّين)[(٢)]، وهو اتجاه فكري نشأ بانجلترا يرفض مرجعية الدين في حياة الإنسان، ثم انتشر في العالم، واتجاه آخر أطلق عليه

(١) الإلحاد: انحراف وميل عن الحق والصواب والاستقامة، قال الراغب: أَلْحَدَ فلان: مال عن الحقِّ، والإِلْحَادُ ضربان: إلحاد إلىٰ الشِّرك بالله، وإلحاد إلىٰ الشِّرك بالأسباب، فالأوَّل ينافي الإيمان ويبطله. والثاني: يوهن عراه ولا يبطله. ينظر: المفردات للراغب (ص٧٣٧).

(٢) اللادين: يؤمن بحق الإنسان في رسم حاضره ومستقبله واختيار مصيره بنفسه دون وصاية من دين، ودون التزام بشريعة دينية، ويرىٰ أن النص الديني مجرد نص بشري محض لا ينطوي علىٰ قداسة خاصة، ولا يعبّر عن الحقيقة المطلقة، ويمكن تعريفه بأنه: «اعتقاد ببشرية الأديان، بغض النظر عن الاعتقاد بفكرة وجود إله أو آلهة أو عدم الاعتقاد بذلك»، فإن اللاديني هو شخص لا يملك إيمانًا بوجود الخالق الأعظم، وفي نفس الوقت لايملك قناعة بعدم وجود الخالق الأعظم، كما أنها مرحلة وسطية بين الإيمان والإلحاد وهناك البعض ممن يعرف اللادينية كإلحاد ضعيف. ينظر: الدين والعلم لبرتراند راسل، ترجمة: رمسيس عوض، (ص: ٣-١٢)، وينظر: (ص: ١٨٩).

(اللاأدريِّين)، ويقال: مبدأ (عدم اليقين)[1]، حيث ظهور الاعتراض علىٰ بعض المعتقدات السمعية، وإظهار سلوكيات دالة علىٰ الإنكار والضجر من الحياة، والسخط من مقدور الله، والقنوط أو اليأس من رحمته، وهذه مظاهر انتشرت اليوم بصورة تدعو أهل الفكر والدين والدعوة إلىٰ مزيد الاهتمام بالدعوة الاعتقادية؛ لأن هذا أمر يحتمه أزمة الواقع من انتشار الإلحاد، والسعي في بناء وعي المدعو والعمل علىٰ تحقيق رسوخ الإيمان في القلوب، وزيادة اليقين وتثبيته علىٰ أصول وأسس قوية من الأدلة والبراهين عسىٰ أن يعين ذلك علىٰ استعادة النقاء الإيماني، والجلاء عن فطرة الإنسان.

وإن الإسلام -قرآنًا وسنة- قد حثَّ علىٰ البحث، والنظر في آيات الأنفس وآفاق الكون؛ لأن الإسلام يحث المسلم علىٰ التدبر، وذلك بالنظر في أدلة الكتاب الدالة علىٰ ذلك، فقد قال تعالىٰ: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩]، وقال: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس: ١٠١]، وهذا أمر يدل علىٰ تكليف النظر في خلق الله تعالىٰ؛ للاعتبار الموصل إلىٰ الإيمان، وقال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠]، فهذا حض علىٰ النظر، فإن النظر في آيات الأنفس وآفاق الكون عبادة مأمور بها في الإسلام تتعلق بكتاب الله تعالىٰ.

(١) اللاأدرية: اتجاه فكري قديم ما زال قائمًا بين البعض يقوم علىٰ فوضوية الرؤية وعشوائية النظرة، لا يمكنه الركون للمسلمات أو الثوابت، فأصحاب هذا الاتجاه يحملون فكرًا لا أدريًّا يقوم علىٰ ثبوت انتفاء اليقين بأي شيء. ينظر: علاقة الكتب السماوية بالعلم، د. الأمير محفوظ محمد، (ص: ٣٠٨-٣١٣).

وإن الصحابة والتابعين لم يبحثوا في أفعال الخلق والإيجاد علىٰ سبيل الخصوص؛ لأنهم عَلِموا دلالاتها بفطرتهم النقية، وفهموا دلالتها ومعانيها اللغوية لسلامة ألسنتهم فرسخت معانيها في قلوبهم؛ إذ فهموها فَلَمْ يبحثوا عن جزئياتها الفرعية لعدم الداعي لإفرادها بالبحث والدراسة، ولعدم توفر ضرورة ذلك.

وإن تدبر مواضع أفعال القرآن الدالة علىٰ الخلق والإيجاد بالوقوف علىٰ دلالتها، وإن المسلم بين أن يترك هذا الزاد القرآني المعرفي في أفعال الخلق والإيجاد، وهذا مخالف للمقصد الأساسي من نزول القرآن للتدبر، أو أن يستثمر هذه المعرفة القرآنية فيما يتفق مع حقائق العلم، لأن ما يكتشفه أهل العلم الطبيعي إما أن يرفض مطلقًا، أو أن يقبل مطلقًا، أو أن يقبل إن صح دليله، واحتفت به القرائن والأدلة، والصواب أن دلائل أفعال الخلق والإيجاد مقبولة بشروط هي:

(١) موافقة دلالة أفعال الخلق والإيجاد للنقل الصحيح، وهذا ورد كثيرًا من خلال تلك الأفعال الواردة في كتاب الله تعالىٰ الدالة علىٰ الخلق، وقد سبقت نماذجها التطبيقية.

(٢) موافقة دلالة أفعال الخلق والإيجاد للحسِّ والمشاهدة والواقع القائم علىٰ التجربة الصحيحة، وقد وردت تلك الإشارة -أيضًا- كثيرًا من خلال أفعال الخلق والإيجاد الواردة في كتاب الله تعالىٰ.

(٣) موافقة دلالة أفعال الخلق والإيجاد للنظر القائم علىٰ الخبرة النظرية الصحيحة؛ لأن القرآن يحث علىٰ سؤال أهل الذكر، فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، إذ النظر في أفعال الخلق والإيجاد من التكلف أو التهوك والتهور.

وقد دعت اليوم الضرورة إلىٰ النظر في (أفعال الخلق والإيجاد) بغية نشرها بين الشباب؛ ليثبت إيمانهم، ويزدادوا إيمانًا بالله رب العالمين، فمن خلال دراسة أفعال الخلق في القرآن تحقيق هذه الأهداف، واستعادة ثقة الإنسان بإيمانه من خلال إثبات وإسناد (أفعال الخلق والإيجاد) إلىٰ الله تعالىٰ، وتحقيق معرفته بالله، وتوثيق صلته به، لاتصاف الله ربنا بكل كمال من قدرة وإرادة وعلم؛ لأن النظر في خلق الأكوان والإنسان والحياة والأحياء التي تساعد علىٰ دفع الإلحاد، ومواجهته كانت -ولا تزال- سرًّا مكنونًا لم يدعُ لذلك إلا الله تعالىٰ في القرآن المجيد، وبالتالي فهو أكبر شاهد علىٰ دفع الإلحاد ومواجهته.

◆ ◆ ◆

المطلب الثاني
علاقة الأفعال الدالة على الخلق بمعالجة الإلحاد

أولًا: لقد أورد الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تصريحًا لبعض علماء الكونيات، فقال: (**لقد استفتت إحدىٰ المجلات عددًا من علماء الذرة والطاقة والفلك وعلم الأحياء، فأكدوا جميعًا أن لديهم أدلة وقرائن كثيرة تثبت وجود من ينظم هذا الوجود، ويرعاه بعنايته ورحمته وعلمه الذي لا حدَّ له**)(١)، وهذا التصريح يثمن، ويؤكد علىٰ ضرورة دراسة كل ما يدل علىٰ خلق الله تعالىٰ لجميع الخلق المشهود في كل الوجود، وإن أفعال الخلق والإيجاد خير شاهد علىٰ ذلك، وفي هذا يقول الله تعالىٰ في كتابه وهو أصدق القائلين: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]، فمعرفة الله أمر فطري، لكن قد يطلب البعض الدليل عليه.

(١) ينظر: عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالي، (ص: ٣١).

ثانيًا: لما كانت الأفعال الدالة علىٰ الخلق متعلقة في كثير من مواضعها بأدلة مشاهدة ومحسوسة فهي متوفرة للرد علىٰ شبهات الملحدين؛ لأن من شبهات الإلحاد: طلب دليل محسوس علىٰ خلق الله للخلق، ويدَّعون أن الصدفة والأسباب هي الفاعلة للخلق، ويقال لهؤلاء: إن الأسباب الظاهرة من (خلق الماء وتهيئة التراب) كأسباب ظاهرة في إنبات الزرع، والشجر مع أنه لا فعل للماء، أو التراب، ولا عقل حتىٰ ينبتوا زرعًا أو شجرًا؛ فكيف ولماذا تسير في طريق إنبات النبات إلا بإذن الله الذي فطرها علىٰ شيء أذن له بقدرته، وفطرها علىٰ القيام به، فلزم التعرُّف علىٰ أفعال القرآن الدالة علىٰ الخلق والإيجاد؛ لأنها مُسنَدة إلىٰ الله حتىٰ يزداد أهل اليقين إيمانًا ويقينًا، ويستفيدوا دوامًا وثباتًا علىٰ ما هم عليه، كما يعالج أهل الشك ما هم فيه من حيرة وتردُّد، فيحصِّل الملحد تصديقًا تامًّا بأن الله موجود متصف بكل أوصاف الكمال.

ثالثًا: الإنسان إذا أراد معرفة الله فإن أهم أسباب النظر علىٰ الإطلاق التعرف علىٰ الله وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ لأنه واجب الوجود، فقد أوجد كلَّ موجود، وأن كل ما في الكون من دلائل حسية دالة علىٰ عظمة الله ووحدانيته سبحانه، واتصافه بكل كمال، كما تدل علىٰ أن النظر في الأنفس والآفاق من الضرورة بمكان من أجل معرفة الإنسان ربه تعالىٰ، ومن الأدلة علىٰ ذلك، (دليل الإبداع والإتقان - ودليل الخلق والإيجاد - ودليل العناية والرعاية - ودليل الحركة والحدوث)، كما أن الإنسان إذا أراد الانتفاع بما خلقه الله له، فإن عليه القيام بالكشف عن مساتير الكون وإتقان النظر في الكون والتدبر للآيات.

رابعًا: إن مظاهر إثبات وجود الله تعالىٰ وقدرته وإرادته وعلمه، مما يحقق

قيوميَّة الحق تعالىٰ علىٰ خلقه مهما أنكر المنكرون الملحدون، أو تأبوا علىٰ طاعة الله تكبُّرًا عن الاعتراف به سبحانه، وهي في ذات الوقت تشتمل علىٰ أوضح استدلال علىٰ قدرة الله علىٰ إيجاد الممكنات وإعدامها، وتخصيص إرادته تعالىٰ، وتَمام انكشاف علمه.

إذًا فإن قيام المعرفة علىٰ أفعال الخلق والإيجاد في القرآن ضرورة تربط هؤلاء الشباب بالقرآن من خلالها، وهي مدخل علمي يُشبع رغبة شباب الأمة في اكتشاف الكون، ويصونه عن الانكباب في هويس الإلحاد واللادين، واللاأدرية؛ فإن قطع العُمر -وبخاصة مرحلة الشباب- فيما يفيد، والمحافظة عليه، والانشغال بما ينفع أمور لها قدرٌ كبيرٌ من الأهمية في الإسلام؛ لذا قال النَّبِيُّ: «**لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ، عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ**»(١)، فذكَرَ عامة العُمْر ثم خصَّ مرحلة الشباب منه؛ للأهمية والخطورة لقصد شباب الأمة من موجات عاتية، وهجمات مغالية من الإلحاد، ومن دعاوىٰ اللادين، وإن العبء ثقيل، والمسؤولية كبيرة، ودعوة الإيمان فريضة واجبة، وعلىٰ الله توكلنا لا رب لنا سواه.

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» أبواب صفة القيامة باب قي القيامة، رقم: (٢٤١٦)، (٢٤١٧)، (٤/ ٦١٢)، واللفظ له، وقال: «هذا حديث غريب» من حديث ابن مسعود، والدارمي، في «سننه» باب من كره الشهرة والمعرفة، رقم: (٥٥٤)، (١/ ٤٥٢) كلاهما من حديث أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن أبي شيبة، في «مصنفه» كتاب الزهد، رقم: (٣٤٦٩٤)، (٧/ ١٢٥) من حديث معاذ.

وبعد، فهذه علاقة الأفعال الدالة علىٰ الخلق والإيجاد التي تعم خلق الإنسان والأكوان بمواجهة ومعالجة الإلحاد، وتلك دلالاتها الوفية ببيان براهين الإيمان الصحيح لكافة أبنائنا وبناتنا من شباب الأمة، وخاصة من انحرف فكرهم بالإلحاد في حياتنا المعاصرة.

كما تجدر الإشارة إلىٰ أن بعض الأفعال الدالة الخلق والإيجاد تشير إلىٰ النشأتين الأولىٰ والأخرىٰ، كما تبقىٰ أفعال للخلق والإيجاد تختص بالأكوان، وأفعال أخرىٰ تختص بخلق الإنسان، وأسأل الله أن يعين علىٰ التمام.

الخاتمة

يمكن الوقوف على بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، وهي:

١) عموم الدلالة على خلق الأكوان والإنسان؛ لأن معظم أفعال الخلق والإيجاد تدل على ذلك العموم؛ لنعرف أن فعل الخلق معجزة مستقلة أيًّا كان المخلوق عاقلًا، أو غير عاقل، سواء أكان ناميًا بالتغذية، أو غيرَ نامٍ بها كالجماد.

٢) ظهرت دلالة أفعال الخلق والإيجاد على إظهار المنن الربانية على سائر خلقه حتى ينظروا فيما قدَّر لهم من مننٍ ونِعَم تقصر قُواهم عن تحقيقها لأنفسهم؛ فسبحان من أولاها وأسداها لآدم وذريته من غير طلب.

٣) في دلالة أفعال الخلق والإيجاد الرد المفحم على الملحد المنكر للبعث بعد الموت، وهي شبهة ظهرت قديمًا بين الناس، ولا يزال صداها يتردد في الفكر الإنساني.

٤) انصبت دلالات أكثر أفعال الخلق والإيجاد على إثبات العقائد، ومن أظهرها عقيدة البعث والمعاد.

ويوصي الباحث عموم الباحثين بالاعتناء بدراسة المفردة القرآنية بصفة عامة، والمفردة الدالة على أفعال الخلق والإيجاد في القرآن الكريم بصفة أخص، وهي مستفيضة فيه على أن يبحثوها سواء من حيث اللغة، أو التفسير، أو العلم الطبيعي.

وبعد، فإنه لن يوفِّيَ أحدٌ القرآن حقَّه من التدبر لمعانيه، واستخراج دلالاته

واستثمار إشاراته، لكنه جهد المقل، وليس من ضعف الإنسان مفرٌّ؛ إذ خلقه الله -تعالىٰ- ضعيفًا، فاللهم اجبر كسرنا، وقَوِّ في رضاك ضعفَنا، وخُذْ بنواصينا إليك أخذَ الكرام لديك، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آله، وصحبه، وسلِّم تسليمًا كثيرًا آمين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه ومغفرته/

الأمير محفوظ محمد أبو عيشة

ثبت المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم كتاب الله المجيد.

ثانيًا: كتب السنة المطهرة.

ثالثًا: كتب التفسير والقراءات:

١- «إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر»، الدمياطيّ، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني، شهاب الدين الشهير بالبناء (ت: ١١١٧هـ)، تحقيق: أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ٣، (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).

٢- «الإرشادات الجلية في القراءات السبع من طريق الشاطبية»، محيسن، محمد محمد محمد سالم محيسن، الناشر: الأزهر الشريف، قطاع المعاهد الأزهرية، سنة (٢٠٠٥).

٣- «إرشاد العقل السليم»، أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفىٰ، (ت: ٩٨٢هـ) ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، (د: ط. ت).

٤- «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، البيضاوي، ناصر الدين (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة: الأولىٰ، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، سنة (١٤١٨هـ).

٥- «البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة» القاضي، عبد الفتاح القاضي، الناشر: الأزهر الشريف، قطاع المعاهد الأزهرية، سنة (٢٠٠٥).

٦- «التحرير والتنوير»، ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور، (ت: ١٣٩٣هـ)، الطبعة: الأولىٰ، الناشر: الدار التونسية للنشر، سنة (١٩٨٤م).

٧- «تفسير الخواطر» الشعراوي، محمد متولىٰ، (ت: ١٤١٨هـ)، الطبعة: الأولىٰ، الناشر: مطابع أخبار اليوم، سنة (١٩٩٧م).

٨- «التفسير الكبير»، الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي أبو عبد الله فخر الدين خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، الطبعة: الثالثة، الناشر: دار إحياء التراث العربي، سنة (١٤٢٠).

٩- «تفسير القرآن العظيم»، أبو الفداء ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت:٧٧٤ هـ) تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الطبعة: الأولىٰ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، سنة (١٤١٩هـ).

١٠- «الجامع لأحكام القرآن»، القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (ت: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، الطبعة: الثانية، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة سنة (١٩٦٤).

١١- «جامع البيان عن تأويل القرآن»، الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، (ت: ٣١٠ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة: الأولىٰ، الناشر: مؤسسة الرسالة، سنة (٢٠٠٠م).

١٢- «السراج المنير في كلام ربنا الحكيم الخبير»، الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، (ت: ٩٧٧هـ) الناشر: مطبعة بولاق الأميرية - القاهرة، (١٢٨٥هـ).

١٣- «العَذْب النَّمير من مجالس الشَّنْقِيطِيِّ في التفسير» الشنقيطي، محمد، تحقيق: خالد بن عثمان السبت، الطبعة: الثانية، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، سنة (١٤٢٦هـ).

١٤- «مدارك التنزيل وحقائق التأويل»، النسفي، أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود، (ت: ٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، مراجعة: محيي الدين ديب مستو، الطبعة: الأولىٰ،

الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، سنة (١٩٩٨م).

١٥- «مدخل في علوم القراءات»، الطويل، السيد رزق الطويل، دكتور (ت: ١٤١٩هـ)، الطبعة: الأولىٰ، الناشر: المكتبة الفيصلية، سنة (١٩٨٥م).

١٦- «المفردات في غريب القرآن»، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الطبعة: الأولىٰ، الناشر: دار القلم والدار الشامية، دمشق بيروت، سنة (١٤١٢هـ).

رابعًا: كتب اللغة العربية:

١٧- «تهذيب اللغة»، الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب، الطبعة: الأولىٰ، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، سنة (٢٠٠١م).

١٨- «الصحاح تاج اللغة»، الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة: الرابعة، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت لبنان، سنة (١٩٨٧).

١٩- «العين» الخليل الفراهيدي، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار الهلال، القاهرة، (د: ط. ت).

٢٠- «الفروق اللغوية»، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله (توفي نحو: ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د: طـ. ت).

٢١- «القاموس المحيط»، الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي، الطبعة: الثامنة، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، سنة (٢٠٠٥م).

٢٢- «الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية»، أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسىٰ

الحسيني القريمي الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، (د: ط.ت).

٢٣- «لسان العرب» ابن منظور، محمد بن مكرم بن علىٰ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، الطبعة الثالثة، طبع: دار صادر، بيروت، (سنة ١٤١٤هـ).

٢٤- «النهاية في غريب الحديث والأثر»، ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبدالكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت:٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوىٰ، محمود محمد الطناحي، الطبعة: الأولىٰ، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، سنة (١٩٧٩م).

خامسًا: كتب أخرى:

٢٥- «الإرشاد إلىٰ قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد» الجويني، إمام الحرمين، تحقيق: د. أحمد عبد الرحيم السايح، وتوفيق علي وهبة، الطبعة: الأولىٰ، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، بالقاهرة، سنة (٢٠٠٩).

٢٦- «الإصابة في تمييز الصحابة»، الحافظ ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلىٰ محمد معوض، الطبعة: الأولىٰ، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، سنة (١٤١٥هـ).

٢٧- «أصول الدين» الغزنوي، أحمد بن محمد الغزنوي الحنفي، تحقيق: د. عمر وفيق الداعوق، الطبعة: الأولىٰ، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، سنة (١٩٩٨).

٢٨- «الأعلام» الزركلي، خير الدين، طبعة رقم: (١٥)، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت لبنان، سنة (٢٠٠٢).

٢٩- «سير أعلام النبلاء» الإمام الذهبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الطبعة: الثالثة، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

٣٠- «شذرات الذهب في أخبار من ذهب»، ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت: ١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق بيروت، سنة (١٩٩٣).

٣١- «شرح الصاوي علىٰ جوهرة التوحيد» الصاوي، أحمد محمد المالكي الصاوي (ت: ١٢٤١هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح البزم، الطبعة: الثانية، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، سنة (١٩٩٩).

٣٢- «شرح صحيح مسلم»، الإمام النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف (ت: ٦٧٦هـ) الطبعة: الثانية، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة (١٣٩٢هـ).

٣٣- «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع»، السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد (ت: ٩٠٢هـ)، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت، (د: ط. ت).

٣٤- «طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم» ابن السَّلَّار، عبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم، ابن السَّلَّار الشافعي (ت: ٧٨٢هـ)، تحقيق: أحمد محمد عزوز، الطبعة: الأولىٰ، الناشر: المكتبة العصرية - صيدا بيروت، سنة (١٤٢٣هـ).

٣٥- «عقيدة المسلم» الغزالي، محمد، الطبعة: الثانية، الناشر: دار الدعوة، مصر، سنة (١٩٩٠).

٣٦- «غاية النهاية في طبقات القراء» ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف بن الجزري، (ت: ٨٣٣هـ) عني بنشره المستشرق الألماني برجستراسر، الطبعة: الأولىٰ، الناشر: مكتبة ابن تيمية، سنة (١٣٥١هـ).

٣٧- «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، الحافظ ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة، بيروت سنة (١٣٧٩هـ) (د: ط).

٣٨- «معرفة القراء الكبار علىٰ الطبقات والأعصار» الإمام الذهبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت: ٧٤٨هـ)، الطبعة: الأولىٰ، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

٣٩- «معجم المؤلفين»، كحالة، عمر رضا كحالة، الناشر: مكتبة المثنى-بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت (د: ط. ت).

سادسًا: البحوث والمجلات:

٤٠- بحث «أفعال الخلق والإيجاد في القرآن ودلالاتُها» أبو عيشة، الأمير محفوظ محمد، منشور في «مجلة تدبر» التابعة لوزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية، العدد السادس، السنة الثالثة، عدد رجب (١٤٤٠هـ) مارس (٢٠١٩).

٤١- بحث «علاقة الكتب السماوية بالعلم وموقف العلماء منها وآثارها المترتبة»، أبو عيشة، الأمير محفوظ محمد، المجلة العلمية لكلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر الشريف، بالقاهرة، العدد (٢٨)، سنة (٢٠١٥/ ٢٠١٦).

(والله ولي التوفيق)

References and Sources

First: The Holy Quran

Second: The Sunna Books

Third: Interpretation of the Holy Quran References

1. (***Al-Irshdat Al-Jaliah fi Al-Qiraat Al-Sabei m'n Tariq Alshatibiyah***) Muhaisen, Muhammed Mohammed Mohammed Salem Muhaisen, Publisher: Al-Azhar Al-Sharif, Al-Azhar Institutes Sector, (2005).
2. (***Guiding Sound Mind***), Abu Al-Saud Al-Emadi, Mohammed bin Mohammed bin Mustafa, (Died.: 982 AH) Edition: Dar Ihia Atturath Alarabi, Beirut, Lebanon, (without publishing date).
3. (***Anwaru Tanzil wa Asraru Tawail***), Al-Baydawi, Nasser Al-Din (Died.: 685 AH), Investigated by: Mohammed Abdul Rahman Al-Mara'ashli, Edition: First, Publisher: Dar Ihia Atturath Alarabi, Beirut, (1418 AH).
4. (***Al-Bodor Al-Zahirah fi Al-Qiraat Al-Ashr Al-Motawatirah***) Alqadi, Abdulfattah Alqadi, Publisher: Al-Azhar Al-Sharif, Al-Azhar Institutes Sector, year (2005).
5. (***Al-Tahrir wat Tanwir***), Ibn Ashour, Mohammed Al-Taher bin Ashour, (Died: 1393 AH), Edition: First, Publisher: Tunisian Publishing House, (1984 AD).
6. (***Tafsir Al-Khawatir***), Al-Shaarawy, Mohammed Metwally, (Died: 1418 AH), Edition: First, Publisher: Akhbar Al-Youm Press, (1997 AD).
7. (***Al-Tafseer Al-Kabeer***), Al-Razi, Mohammed bin Omar bin Al-Hasan bin Al-Hussein Al-Taymi Al-Razi Abu Abdullah Fakhr Al-Din Khatib Al-Reyy (Died.: 606 AH), Edition: Third, Publisher: Dar Ihia Atturath Alarabi, (1420 AH).
8. (***Tafseer Al-Quran Alazeem***), Abo Alfidaa Ibn Katheer, Ismail bin Omar bin Katheer Alqurashi Albasri Aldemashqi (Died: 774 AH):, investigated by: uham-

mad Hussein Shams Al-Din, Edition: First, Publisher: Dar Al-Kutub Al-Elmiyah - Beirut, (1419 AH).

9. (***Aljamei li Ahkam Al-Quran***), Alqurtobi, Mohammed bin Ahmed ibn Abi Bakr ibn Farah Al-Ansari Alkhazraji, (Died: 671 Ah), Investigated by: Ahmed Al-Baradouni, and Ibrahim Atfish, Edition: Second, Publisher: Dar Al-Kutub Al-Masryah, Cairo (1964).
10. (***Jamiu al-Bayan A'n Taweel El-Quran***), Al-Tabari, Mohammed bin Jarir bin Yazid bin Katheer bin Ghaleb, (Died: 310 AH), Investigated by: Ahmed Mohammed Shaker, Edition: First, Publisher: Al-Risala Foundation, (2000 AD).
11. (***Asserajul Munir fi Kalam Rabbina Al-Hamimul Khabir***), Al-Sherbini, Shamsu Ddin Mohammed bin Ahmed Al-Khatib Al-Sharbeni Al-Shafei, (Died: 977 AH) Publisher: Bulaq Al-Amiriyah Press, Cairo, (1285 AH).
12. (***Al-Azbul Namir m'n Majalis Al-Shanqeeti fi Tafsir***) Al-Shanqeeti, Mohammed, Investigated by: Khalid bin Othman Al-Sabt, Edition: Second, Publisher: Dar Alam Al-Fawa'id Publishing and Distribution, Makkah Al-Mukarramah, (1426 AH).
13. (***Madarik Attanzil wa Haqaiqu atawil***) Al-Nasafi, Abu Al-Barakat Abdullah bin Ahmed bin Mahmoud, (T.: 710 AH), Investigated by: Youssef Ali Badawi, Reviewed by: Mohieddin Deeb Misto, Edition: First, Publisher: Dar Al-Kalim Al-Tayyib, Beirut, (1998 AD).
14. (***Introductory to the Sciences of Recitations***), Al-Taweel, Al-Sayyid Rizk Al-Taweel, Doctor (Died.: 1419 AH), Edition: First, Publisher: Al-Faisaliah Library, (1985 AD).
15. (***Al-Mofradat fi Ghrib Al-Qur'an***), Al-Raghib Al-Asfahani, Abu Al-Qasim Al-Hussein Bin Mohammed (Died.: 502 AH), Investigated by: Safwan Adnan Al-Daoudi, Edition: First, publisher: Dar Al-Qalam and Al-Dar Al-Shamiyah, Damascus Beirut, (1412 AH).

Fourth: Arabic Language References

16. (***Tahzeebul Loghah***), Al-Harawi, Mohammed bin Ahmed bin Al-Azhari

Al-Harawi, Abu Mansour (Died: 370 AH), Investigated by: Mohammed Awad Mereib, Edition: First, Publisher: Dar Ihia Atturath Alarabi, Beirut, (2001 AD).

17. (***Al- Sehah Tajul Loghah***), Al-Jawhari, Abu Nasr Ismail bin Hammad, (died.: 393 AH), Investigated by: Ahmed Abdel Ghafour Attar, Fourth Edition, Publisher: Dar El Ilm Lil Malayin - Beirut, Lebanon, year (1987).
18. (***Al-Ayn***), Abu Abdrrahman Al-Khalil ibn Ahmad ibn Amr Al-Farahidi Al-Basri (died: 170 AH), Investigated by: Dr. Mahdi Makhzoumi, Dr. Ibrahim Al-Samarrai, publisher: Dar Al-Hilal, Cairo, (without publishing date)
19. (***Al-Forouq Al-Lughawiyah***), Abu Hilal Al-Hassan bin Abdullah (died about: 395 AH), Investigated by: Mohammed Ibrahim Selim, Dar Al-Ilm wa Al-Thaqafah for Publishing and Distribution, Cairo, (without publishing date)
20. (***Al-Qamous Al-Moheit***), Al-Fayrouzabadi, Mohammed Bin Yaqoub (Died: 817 AH), Investigated by: Mohammed Naim Al-Erqsusi, Edition: Eighth, Publisher: Al-Resala Foundation for Printing, Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon, (2005 AD).
21. (***Al-kolliyyat; Lexicon of Lingual Idioms and Differences***), Abu Al-Baqa Al-Kafwi, Ayoub bin Musa Al-Hussaini Al-Quraimi Al-Hanafi (Died: 1094 AH), Investigated by: Adnan Darwish, and Mohammed Al-Masry, Publisher: Al-Resala Foundation, Beirut, (without publishing date)
22. (***Lisan Al-Arab***), Ibn Manzur, Mohammed Ibn Makram Ibn Ali, Abu al-Fadl, Jamalu Din Ibn Manzur Al-Ansari Al-Ruwaifa'i Al-Ifriqi (died: 711 AH), edition: third, printed by: Dar Sader, Beirut, (1414 AH).
23. (***Al-Nihayah fi Gharib Al-Hadith wal Athar***), Ibn Al-Atheer, Abu Al-Saadat Al-Mubarak Bin Mohammed Bin Mohammed Bin Mohammed Bin Abdul Karim Al-Shaibani Al-Jazari Ibn Al-Atheer (T.: 606 AH) Investigated by: Taher Ahmad Al-Zawi, Mahmoud Mohammed Al-Tanahi, Edition: First, Publisher: Al-Maktabah Al-Ilmiyyah - Beirut, year (1979 AD).

Fifth: Other Refences

24. (***Al-Irshad Ila Qawatei Al-Adellah fi Asoul Al-Etiqad***), Al-Juwayni, Imam of

the Two Holy Mosques, investigated by: Dr. Ahmed Abdel Rahim Al-Sayeh, and Tawfiq Ali Wahba, Edition: First, Publisher: Religious Culture Library, Cairo, (2009).

25. (***Al-Esabah fi Tameiz Al-Sahabah***), Al-Hafiz Ibn Hajar, Abu Al-Fadl Ahmed bin Ali bin Hajar Al-Asqalani Al-Shafi'i, Investigated by: by: Adel Ahmed Abdel-Mawgod and Ali Mohammed Moawad, Edition: First, publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmia - Beirut, year (1415 AH).
26. (***Usoul Al-Din***) Al-Ghaznawi, Ahmed bin Mohammed Al-Ghaznawi Al-Hanafi, investigated by: Dr. Omar Wafiq Daouk, first edition, publisher: Dar Al-Bashaer Al-Islamiyyah, Beirut, in the year 1998.
27. (***Al-Alam***) Al-Zarkali, Khair Al-Din, Edition No.: (15), Publisher: Dar Al-Ilm for Millions, Beirut, Lebanon, year (2002).
28. (***Siyar Alaamu Noblaa***), Imam Al-Zahabi, Abu Abdullah Mohammed bin Ahmed bin Othman bin Qaymaz (Died: 748 AH), Investigated by: a group of investigators under the supervision of Sheikh Shuaib Arnaout, Edition: Third, Publisher: Al-Resala Foundation, Beirut, (1405 AH/ 1985 AD).
29. (***Shazarat Alzahab fi Akhbar m'an Zahab***), Ibn Al-Imad, Abd Al-Hai bin Ahmed bin Mohammed Ibn Al-Imad Al-Akri Al-Hanbali, Abu Al-Falah (died: 1089 AH), Investigated by: Mahmoud Arnaout, publisher: Dar Ibn Kathir, Damascus Beirut, (1993).
30. (***Sharhu Assawi ala Jawhaatu Attawhid***) Al-Sawy, Ahmed Mohammed Al-Maliki Al-Sawy (Died: 1241 AH), Investigated by: Dr. Abdel Fattah Al-Bazam, Edition: Second, Publisher: Dar Ibn Kathir, Damascus, Beirut, (1999).
31. (***Sharhu Sahih Muslim***), Imam Al-Nawawi, Abu Zakaria Muhyi Al-Din Yahya bin Sharaf (T.: 676 AH) Edition: Second, Publisher: Dar Ihia Atturath Alarabi, Beirut, (1392 AH).
32. (***Addaw Allamei Liahl Al-Qarnu Atasei***), Al-Sakhawi, Mohammed bin Abdurrhman bin Mohammed bin Abi Bakr bin Othman bin Mohammed (died: 902 AH), Publisher: Al-Hayat Library Publications - Beirut, (without publishing date.).

33. (***Tabaqat Al-Quraa Al-Sabaa wa Zikru Manaqiihim wa Qiaatihim***), Ibn al-Sallar, Abd al-Wahhab ibn Yusuf ibn Ibrahim, Ibn al-Sallar al-Shafei (died: 782 AH), Investigated by: Ahmed Mohammed Azzouz, Edition: First, publisher: Al-Maktabah Al-Asriyag – Saida, Beirut, (1423 AH).

34. (***Muslim's Creed***) Al-Ghazali, Mohammed, Edition: Second, Publisher: Dar Al-Da`wah, Egypt, in the year (1990).

35. (***Ghayau Al-Nihayah fi Tabaqat Al-Quraa***) Ibn al-Jazari, Shams al-Din Mohammed ibn Mohammed ibn Yusuf ibn al-Jazari, (Died: 833 AH), published by the German orientalist Bergstrasser, Edition: First, Publisher: Ibn Taymiyyah Library, year (1351 AH).

36. (***Fath al-Bari, Sharh Sahih al-Bukhari***), al-Hafiz Ibn Hajar, Abu al-Fadl Ahmed bin Ali bin Hajar al-Asqalani al-Shafi'i, publisher: Dar al-Maarifa, Beirut (1379 AH) (without publishing date).

37. (***Maifatu al-Quraa Al-Kibar al Altabaqat wa Al-Aasar***) Imam Al-Dhahabi, Abu Abdullah Mohammed bin Ahmed bin Othman bin Qaymaz (Died: 748 AH), Edition: First, Publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, (1417 AH / 1997 AD).

38. (***Glossary of Authors***), Kahala, Omar Reda Kahala, Publisher: Al-Muthanna Library - Beirut, Dar Ihia Atturath Alarabi, Beirut (without publishing date).

Sixth: Researches and Journals

39. (***Verbs of Creation and Existing in the Holy Quran and their Implications***) research, Abo Eisha, Al-Amir, Mahfouz Mohammed, published in (Tadabor Journal), affiliated to Saudi Ministry of Information, Issue Six, Third Year, Rajab Issue (1440 AH) March (2019).

40. (***The Relationship Between Heavenly Books and Science and scholars position of such Relationship and its Implications***) Research, Abu Eisha, Al-Amir, Mahfouz Mohammed, the scientific journal, College of Islamic Call, Al-Azhar University, Cairo, No. (28), (2015/2016).

فهرس الموضوعات

المستخلص ٢٣٧

المقدمة ٢٤٠

المبحث الأول: معاني أفْعَال القرآن الدَّالة على الخلْق ودلالاتها ٢٤٩

المطلب الأول: معاني الفعل (بثَّ) ودلالته ٢٤٩

- أولًا: معاني الفعل (بثَّ) في اللغة ٢٤٩
- ثانيًا: دلالات الفعل (بثَّ) ٢٥٠

المطلب الثاني: معاني الفعل (أحيا) ودلالته ٢٥٦

- أولًا: معاني الفعل (أحيا) في اللغة ٢٥٦
- ثانيًا: دلالات الفعل (أحيىٰ) ٢٥٧

المطلب الثالث: معاني الفعل (أنبت) ودلالته ٢٧٠

- أولًا: معاني الفعل (أنبت) في اللغة ٢٧٠
- ثانيًا: دلالات الفعل (أنبت) ٢٧١

المطلب الرابع: معاني الفعل (أخرج) ودلالته ٢٨١

- أولًا: معاني الفعل (أخرج) في اللغة ٢٨١

◆ ثانيًا: دلالات الفعل (أخرج) ٢٨٢

المطلب الخامس: معاني الفعل (جعل) ودلالته ٢٩٣

◆ أولًا: معاني الفعل (جعل) في اللغة..... ٢٩٣

◆ ثانيًا: دلالات الفعل (جعل)..... ٢٩٥

المطلب السادس: معاني الفعل (نشر) ودلالته ٢٩٩

◆ أولًا: معاني الفعل (نشر) في اللغة ٢٩٩

◆ ثانيًا: دلالات الفعل (نشر)..... ٣٠٠

المبحث الثاني: مواجهة الإلحاد في ضوء أفعال القرآن الدالة على الخلق والإيجاد.....٣١٣

المطلب الأول: ضرورة النظر في أفعال القرآن الدالة على الخلق والإيجاد٣١٣

المطلب الثاني: علاقة الأفعال الدالة على الخلق بمعالجة الإلحاد ٣١٦

الخاتمة ٣٢٠

ثبت المصادر والمراجع ٣٢٢

رومنة المصادر والمراجع ٣٢٨

فهرس الموضوعات ٣٣٣

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

TADABBUR MAGAZINE

Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an

Issue No. (12) Year 6 / Rajab1443 AH, corresponding to February 2022

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]

Part One

TADABBUR MAGAZINE Index:

- **The purposes of Allah's Trials from a Quranic perspective: An Analytical Study**
  Dr. Bey Zekkoub Abdelali
- **Hospitality: Legitimacy, Rules of Etiquette, and Ruling in the light of the Holy Quran**
  Dr. Sultan bin Abdullah Al-Garbou
- **The Semantics of the Verbs of the Creation of Universes and Man in the light of the Quran (scatter, revive, cause to grow, bring out, make, and resurrect): Applied Models**
  Dr. Al-Amir Mahfouz Mohammad Abu Aisha
- **Diacritical Marks Differences in Farshi Readings with Identical Letters and their Effects on Meaning and Understanding: An Empirical Study**
  Mohammad bin Abdul-Kareem bin Baighlam
- **The Glorification of Prophets in the light of the Holy Quran**
  Hamza Abdullah Saadi Shawahnah

25 SR

1658-7642